[اكتب اسم الشركة]

آيات التحذير في القرآن

تأليف : فهد بن صالح بن شايع النفيسة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف الا لمن أراد طبعه لتوزيعه مجانا بعد أخذ أذن خطي من المؤلف

[السنة]

[اكتب عنوان الشركة]

مقدمة

الحمد للذي حذرنا نفسه فقال : {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ } [آل عمرن: ٢٨]وقال تعالى في موضع آخر من القرآن :{ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ } [آل عمران : ٣٠]. والصلاة والسلام على رسوله الكريم الذي حث أمته على فضائل الأخلاق وحذرهم من سيئها وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه باحسان الى يوم الدين.أما بعد : فان الله تعالى قد ربى المؤمنين في القرآن على الخصال الحميدة التي يكون بها الفوز في الدنيا والظفر في الآخرة ولأن القرآن مثاني، حذرهم من الأخلاق الدنيئة التي تكون بها خسارة الدنيا والآخرة فكانت تربية القرآن أكمل تربية لأنها من الرب الذي خلق الناس فهو عز وجل أعلم بمصالح العباد من العباد أنفسهم، وأعلم بما سيؤؤلون اليه في الدنيا والآخرة . والحذر يجب أن يكون من كل شئ يحتمل أن يكون مصدرا للخطر و أول مايجب الحذر منه أمراض القلب وهي أمراض الشهوات والشبهات .

تتبعت الآيات التي ورد فيها (الحذر) في القرآن فوجدتها في عشرين موضعا في تصاريف مختلفة كلها تربي في المسلمين الحذر من أعداء مختلفين سأذكرها باذن الله وننظر اليها نظرة تدبر مع ذكر أمثلة وكيفية التحرز من الوقوع فيما حذر الله منه و ازالة ماقد يقع عند البعض من سوء فهم لبعض الآيات. و لا يعني التعامل بحذر مع من حذرنا الله منهم أن نكون شكاكين بمن حولنا، فالحذر مما حذرنا الله منه أسلوب تربوي قرآني رفيع حتى نعيش بسلام ونبتعد عن مواطن الفتن والشبهات ونرقى بانفسنا. ونتخذ الحذر مماحذرنا منه أسلوب حياة وتعايش مع الآخرين. والمقصود من التحذير هو الهداية الى الطريق المستقيم وتقويم سلوكنا البشري حتى نسير في الاتجاه الصحيح الذي أراده الله تعالى لنا الذي فيه سلامتنا في الدارين .وتتضح رحمة الله تعالى لنا من التحذير في القرآن من أعداء مختلفين لأن الله تعالى مطلع على كل شي بخلاف الناس الذين لا يعلمون في الغالب أعدائهم الحقيقين فقد نظن صديقا عدوا و قد نرى عدوا صديقا. كما حذر الله تعالى الرسول و المؤمنين عن المنافقين بأنهم هم العدو الحقيقي لهم فيجب الحذر منهم {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون : ٤] وكذلك الشيطان وهو العدو الأول للانسان . قال تعالى : {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر : ٦]فالانسان يعيش في معترك هذه الدنيا وفي نصب ومشقة وكدح . قال تعالى :{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ } [البلد : ٤] وقال عز وجل :{يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} [الانشقاق : ٦] فالانسان يحتاج الى من يحذره من أعدائه فيسلم منهم ومن شرورهم وهنا تتجلى رحمة الله بعباده و ارادته تعالى لهم الخير وسلوك طريق السلامة .كانت فكرة هذا الكتاب أني حضرت في ثاني ايام رمضان من عام ١٤٣٣ للهجرة في مسجد (سراقة بن مالك) درسا في تأمل آيات من القرآن الكريم لفضيلة الشيخ الدكتور / عقيل بن سالم الشمري – حفظه الله – مدير الدعوة و والارشاد بحفر الباطن تحدث فيه عن بعض الآيات التي تتحدث عن تحذير الله تعالى من نفسه في قوله تعالى::{وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ } [آل عمرن : ٢٨] وغيرها من الآيات التي فيها تحذير من الله تعالى لنا ،فوقع في نفسي أن أجمع الآيات التي وردت فيها مادة (حذر) في القرآن والنظر اليها نظر تدبر واستخراج مافيها من الفوائد والكنوز و الدروس والعبر التي لولا ذكر الله لها لما عرفناها .فهو مأجور ان شاء الله لكونه سببا في تأليف هذا الكتاب فالدال على الخير كفاعله .

ومن باب الاعتراف بالفضل لأهله أجد لزاما علي أن أعترف بالفضل لله تعالى أولا ،ثم لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله رحمة واسعة – فقد تعلمت منه كيفية استنباط الفوائد من الآيات بكثرة الاستماع اليه – – رحمه الله – وهو يستنبط الفوائد عند شرح الآيات فنمت عندي ملكة الاستنباط فرحمه الله رحمة واسعة على ماقدمه من علم وخدمة للاسلام والمسلمين طيلة سني حياته فقد وهب كل وقته وجهده للعلم تدريسا وتأليفا وافتاء فأجزل له المثوبة.

الباعث على تأليف هذا الكتاب يتلخص في الاتي :

١- تحذير المسلمين من الأعدا ء الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن ، فكثير منا غافل يحتاج الى من يذكره كما قال تعالى :(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذاريات : ٥٥)

٢- تحذير من تعرض الى أحد الأعداء الذين ذكرهم الله في القرآن بكيفية الانتباه و التعامل مع عدوه .

٣- تعليم المسلمين عما في الآيات التي فيها التحذير من أعدائهم من العبر والدروس .

٤- تعريف المسلمين بأعدائهم الحقيقين الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن كالمنافقين فربما اختلط الأعداء والأصدقاء عند البعض فظن العدو صديقا والعكس .

٥- لم أجد من ألف في هذا الموضوع – على حسب علمي القاصر – الا متعبة بنت خالد بن صحن المطيري في رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الأميرة نورة في الرياض بعنوان (الحذر في القران وأهميته في حياة المسلمين) و رسالة ماجستير قدمت الى جامعة بابل في العراق ،فأحببت أن أجمع ماتفرق في كتب أهل العلم حول ماكتب عن الحذر ليسهل على من أراد مراجعة ماكتب حول الحذر في القران .

الحذر في اللغة يدل على التحرز من الوقوع في المحذور . قال ابن فارس : (الحاء والذال والراء اصل واحد في التحرز والتيقظ وهو من التحرز والتيقظ يقال :حذر يحذر حذرا ورجل حذر وحذور وحذريان : متيقظ متحرز وحذار بمعنى احذر) (١)

وأخذ الحذر من الشي تعبير مجازي ، قال ابن عاشور رحمه الله : (لأن أخذ الحذر مجاز ، إذ حقيقة الأخذ التناول ، وهو مجاز في التلبس بالشيء والثبات عليه .) (٢)

.....

(١) معجم مقاييس اللغة (ص ٢٣٥) (٢) التحرير والتوير (2 / ١٨٦)

الآية الأولى

{أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ } [البقرة : ١٩]

قوله تعالى :{ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ} تأخر المبتدأ وما عطف عليه و هو (ظلمات ورعد وبرق) وجوبا لأنه نكرة و لا يجوز الابتداء بها وعليه قول بان مالك في ألفيته :

ولا يجـوز الابتـدا بالنكـــــرة ما لم تفد كعند زيد نمرة

وتقدم الخبر وجوبا لأنه جار ومجرور كما عقده في الخلاصة :

و نحو عندي درهم ولي وطر ملتـزم فيـه تقدم الخبر

يحذرنا الله عز وجل في هذه الآية أن نكون مثل المنافقين الذين شبههم في هذا المثل .والمثل عرفه الراغب بقوله : (والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره نحو قولهم : الصيف ضيعت اللبن فان هذا القول يشبه قولك : أ هملت وقت الامكان أمرك)(١).

والله تعالى ضرب الأمثال في القرآن لتقريب المراد الى الأذهان فيحصل به المقصود وهو الفهم ثم امتثال الأمر أو اجتناب النهي أو الترغيب أو الترهيب (٢).قال تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ} [محمد : ١٥] وفي موضع اخر من القران {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ} [الرعد : ٣٦] ضرب الله تعالى في هذين الآيتين مثلين عن الجنة ليقرب لنا صورة الجنة بأشياء محسوسة معلومة لنا في الدنيا لأن الجنة ليس فيها شيء من الدنيا الا الأسماء فقط كم قاله ابن عباس – رضي الله عنه –. فخمر الدنيا ليس كخمر الآخرة ، وعسل الدنيا ليس كعسل الآخرة، ولبن الدنيا ليس كلبن الآخرة .قال صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث القدسي : "يَقُولُ اللّهُ عَزّ وَجَلّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْراً. بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمُ اللّهُ عَلَيهِ".ثُمّ قَرَأَ: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرّةِ أَعْيُنٍ} (٣) .قال النووي – رحمه الله – : (فأما بله فبفتح الباء الموحدة وإسكان اللام ومعناها دع عنك ما أطلعكم عليه فالذي لم يطلعكم عليه أعظم، وكأنه أضرب عنه استقلالاً له في جنب ما لم يطلع عليه) (٤) .وأخرجه البخاري بلفظ (قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين : ما لا عين رأت ، و لا أذن سمعت ، و لا خطر على قلب بشر) (٥) .

.....

(١) المفردات في غريب القرآن (ص ٤٦٢) (٢) توسع الماوردي في الكلام على أمثال القرآن في كتابه (أمثال القران) وابن القيم في (الأمثال في القرآن الكريم) وجمع الشيخ أبو أويس الكردي الأمثال الموجودة في كتب ابن القيم في كتاب أسماه (الجامع في أمثال القرآن) (٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٢٤)
(4) شرح مسلم (٢ / ٢٩٩) (٥) الحديث برقم (٧٤٩٨)

قال ابن عاشور – رحمه الله –: (فإن مدركات العقول منتهية إلى ما تدركه الأبصار من المرئيات من الجمال والزينة، وما تدركه الأسماع من محاسن الأقوال ومحامدها ومحاسن النغمات، وإلى ما تبلغ إليه المتخيلات من هيئات يركّبها الخيال من مجموع ما يعهده من المرئيات والمسمُوعات مثل الأنهار من عسل أو خمر أو لبن، ومثل القصور والقباب من اللؤلؤ ، ومثل الأشجار من زبرجد ، والأزهار من ياقوت ، وتراب من مسك وعنبر ، فكل ذلك قليل في جانب ما أعدّ لهم في الجنة من هذه الموصوفات ولا تبلغه صفات الواصفين لأن منتهى الصفة محصور فيما تنتهي إليه دلالات اللغات مما يخطر على قلوب البشر، فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « و لا خطر على قلب بشر »(١) وهذا كقولهم في تعظيم شيء : هذا لا يعلمه إلا الله.) (٢)

والأمثال التي في القرآن لا يعقلها الا العالمون{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } [العنكبوت : ٤٣] وذكر تعالى في موضع آخر أن الأمثال تضرب للناس من أجل التفكر {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [الحشر : ٢١ .] وذكر ابن الجوزي في المدهش أن الأمثال في القرآن ثلاثة وأاربعون مثلا ثم سردها كاملة .

قال الزمخشري – رحمه الله -: (ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر – شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد..... ولم يضربوا مثلاً ولارأوه أهلا للتسيير ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه. ومن ثم حوفظ عليه وحمى من التغيير.)(٣).ضرب الله تعالى هذا المثل بعد أن بين صفات المنافقين في سورة البقرة كاظهارهم خلاف مايبطنون كما في قوله : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} [البقرة :٨] ومخادعتهم لله و الذين آمنوا كما في قوله :{يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ} [البقرة : ٩] و أن في قلوبهم مرضا كما في قوله : {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة : ١٠] وادعائهم الاصلاح كما في قوله : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون} [البقرة : ١١]. فتقرير الله أنهم مفسدون بقوله : {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ} [البقرة : ١٢] ثم دعوتهم الى الايمان فيرفضونه لأنهم لايريدون أن يكونوا كالسفهاء فيأتي توكيد الله بأنهم سفها ء {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ } [البقرة : ١٣]فيفضح الله تعالى نفاقهم بأنهم يظهرون خلاف مايبطنون {وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ} [البقرة : ١٤]

.....

(١)الحديث عند مسلم برقم (٢٤٢٢) (٢) التحرير والتنوير (21 / ٢٢٩ – ٢٣٠)

(٣) الكشاف (٦٦/1)

فكانت النتيجة أن عاقبهم الله بجنس عملهم فاستهزأ بهم كما استهزأوا بدين الله وعباده المؤمنين و زادهم في فجورهم وطغيانهم لما علم تعالى أنهم لايريدون الاصلاح فهم كمن بذل نفائس ماله ليشتري الشقاء بالسعادة فخسر في تجارته {اللهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ} [البقرة : ١٥ – ١٦]. وبين تعالى في مواضع أخرى من القرآن كثيرا من صفاتهم

كحيرتهم وتذبذبهم واضطرابهم {مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلا} [النساء : ١٤٣

شبه الله تعالى في هذه الآية حال المنافقين بمن أصابه صيب وهو – المطر – مصحوبا بظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر ثم تبعه رعد وهو – الصوت المسموع من السحاب ،فبرق وهو النور الذي يلمع في السحاب ، فيعمد الى وضع أصابعه في أذنيه حتى لا يسمع صوت الصواعق وهي ،نار تاتي من البرق ، فيهلك. فشبه الله تعالى الاسلام بالمطر لأن القلوب تحيا بالاسلام كما تحيى الأرض بالمطر وشبه تعالى النفاق بالظلمات لأن قلب المنافق ليس فيه نور يبصر به الحق فهو مظلم. وشبه تعالى أحكام الاسلام ومافيه من وعيد بالرعد الذي يقرع الأذان .وشبه تعالى ما في القرآن من وعد بالبرق الذي يضئ الأرض (١) . والمعنى:أن المنافقين يبذلون كل مايستطيعون من جهد لتجنب سماع الوعيد الذي هو كالصواعق لهم والذي أنزله الله في القرآن وبما يظهرونه من نفاق فهم كمن يدخل أصابعه في أذنيه حال سماع صوت الصواعق لأن آيات الوعيد تقرع الأذان كما يقرع صوت الصاقعة الأذن بالصوت القوي . وهذا يدل على ضعفهم وخوفهم وهم مع كل محاولاتهم وبذلهم كل جهد يقدرون عليه لاينجون من عذاب الله لأن الله تعالى بعد أن ذكر حال المنافقين،ختم الآية بقوله: (والله محيط بالكافرين) فالاحاطة تعني هلاكهم .قال في البحر المحيط عند تفسيره قوله تعالى : {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ }[الكهف : ٤٢]:(وهو عبارة عن الاهلاك أاصله من أحاط به العدو، وهو استدارته من جوانبه ومتى أحاط به ملكه واستولى عليه ثم استعملت في كل هلاك .قال ابن عطية : الاحاطة كناية عن عموم العذاب والفساد انتهى) (٢)

فالله محيط بهم من كل جانب فلم يبق لهم طريق ينفذون اليه ليخرجوا من دائرة العذاب .

ومنه قول الشاعر :

أحطنا بهم حتى اذا ما تيقنـوا بما قد رأوا مالوا جميعا الى السلم

.....

(١) نشرت مجلة البحوث الاسلامية التي تصدرها الرئاسة العامة للبحوث في عددها(٩٨) بحثا قيما للشيخ الدكتور (محمد بن عبد الله السحيم) بعنوان (الدلالات العقدية للماء في القران) ذكر فيه ضرب المثل بالماء في القران وانواعه بتوسع كما ورد في هذه الاية الكريمة فليراجع . (٢) البحر المحيط (٦ / ١٢٣)

والمعنى استطعنا التغلب على أعدائنا بالاحاطة بهم من كل جانب فلم يبق لهم طريق يهربون منه .
هذا من الأمثال التي ضربها الله تعالى في القرآن وهي تشبيه شي بشئ من أجل تقريب الأمر الى الأفهام بشيء محسوس فيكون أكثر وضوحا وتصورا الى العقل. ولا يعقل الأمثال الا من تأمل وتدبر الآيات فيحصل على مقصود الله تعالى من ضرب هذا المثل. قال تعالى:(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (العنبكوت : ٤٣) **.والمقصود من المثل الحث على الشئ او التنفير منه .وفي السنة نظائر كثيرة. ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم الأمثال من أجل تقريب الفهم للمخاطبين كالذي جاء يسال عن مولود أسود ولد له فضرب له النبي صلى الله عليه وسلم مثلا باختلاف ألوان الابل وأن ابنه الأسود ربما نزعه عرق كما يكون في الابل .**

يستفاد من هذه الآية عدة فوائد منها :

١– تحذير الله تعالى من الاعراض عن دين الله لأن من أعرض و تولى فان عذاب الله محيط به كما أحاط بهؤلاء المنافقين المذكورين في هذه الآية .
٢– قسوة وغلظة قلوب المنافقين لأن قلوبهم لم تتأثر أو تلن بسماع آيات الله التي تتلى عليهم بكرة وأصيلا.
٣– تقريب ما أراد الله تعالى ابلاغنا عنه بضرب الأمثال بالمحسوسات لأنه أقرب الى الأفهام وهذا من أساليب القرآن وفصاحته وبلاغته .
٤– ان النفاق يتولد عنه عذاب نفسي بانشغال القلب والفكر وهذا يبين فضيلة الايمان الحقيقي لأنه يتولد عنه الراحة{الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد : ٢٨]
٥– ان المنافقين جبناء لأنهم يظنون أنهم سيهلكون اذا سمعوا شيئا كالرعد أو أبصروا شيئا كالبرق .

الآية الثانية

قال تعالى : {وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} **[البقرة : ٢٣٥]**

في هذه الآية الكريمة حث من الله تعالى على مراقبته في السر و العلن لأنه عز وجل يعلم السر وأخفى ، يعلم مانظهر و مانبطن ، وفيها معنى التهديد و الوعيد بألا نفعل أو نقول سرا أو علنا مالايرضاه تعالى فيجب ألا نقول أو نفعل الا ما يستوجب رضاه عز وجل .

والأعمال التي تكون في النفس أو القلب لها أربع حالات :

١– أن يعزم الانسان بالسيئة في نفسه فيتركها لله فهذا يؤجر لأنه تركها لوجه الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم: (وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة)(١) .أما حديث النفس فلا يؤاخذ الانسان عليه،لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها مالم يتكلموا أو يعملوا به)(٢) و لأنه يصعب التحرز منه و ربما يكون من القاء الشيطان المعاصي في قلب البشر، وهذا من رحمة الله تعالى .

٢ – أن يهم بالسيئة ويسعى في أسبابها ولكن لا يستطيع فهذا تكتب عليه سيئة والدليل قوله صلى الله عليه وسلم : (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ، قال : يارسول الله هذا االقاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : لأنه كان حريصا على قتل صاحبه)(٣). فهذا كتبت عليه سيئة لأنه هم بالقتل وسعى في أسبابه ولكن حيل بينه وبين ما أراد فكان كالقاتل .

٣ – أن يهم بالسيئة ثم يتركها لا، لا عجزا و لا لله فهذا لا يثاب و لا يعاقب،كمن أراد أن يسرق شيئا ثم عدل عن السرقه ليس من أجل الله وليس عجزا و لكنه لا يريد السرقة .

٤ – أن يهم بالسيئة ويعقد العزم عليها و لكن لا يسعى في الحصول على أسبابها فهذا يأثم بنيته والدليل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل الذي آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في غير حقه ويمنعه حقه فلما تمنى رجل أن يكون مثله قال عليه الصلاة والسلام :(فهو بنيته فهما في الوزر سواء) (٤)

.....

(١) رواه البخاري برقم (٦٤٩١) ومسلم برقم (١٣١) (٢) متفق عليه و اللفظ لمسلم والحديث برقم (١٢٧) (٣) اخرجه البخاري برقم (٣١) (٤) رواه بن ماجه برقم (٤٢٢٨)

ثم قال تعالى :{ فَاحْذَرُوهُ } فيها معنى التهديد والتخويف والوعيد أن يفقدنا الله حيث أمرنا أو يجدنا حيث نهانا . و يحذرنا الله نفسه أن نقع في أي معصية مهما كان نوعها فعلا أو قولا، سرا أو جهرا ، و الا نستعمل ما أنعم الله به علينا من حواس الا بما يرضيه تعالى، فنسمع بها العلم النافع والقرآن الكريم ،والا نستعملها في مايغضبه تعالى فلا نسمع نميمة أو غيبة وءكل ماحرم الله . وأن نستعمل البصر فيما يرضيه تعالى فنغض أبصارنا فلا نطلقها فيما حرم **بل نستعملها فيما يفيد كالنظر في كتب أهل العلم التي تزيدنا علما ورفعة والنظر الى آيات الله الكونية كالسماء والقمر و النجوم و الأفلاك.قال تعالى: {**قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} **[يونس : ١٠١] والمقصود نظر تأمل وتدبر، لا نظرة عابرة لأن النظر مع تأمل وتدبر يزيد في الايمان وهذا هوالمقصود من الآية. وأن نستعمل أرجلنا في طاعة الله كالمشي الى المساجد و حلق العلم و زيارة مريض و السعي و الطواف و تشييع الجنائز، وكذلك اليد، نستعملها فيما أحل الله فلا نستعملها في السرقة أو البطش في عباد الله. يدل على أهمية الحواس قوله تعالى :**{ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} **[الاسراء : ٣٦ .] فنحن مسؤولون و محاسبون عن ستعمال حواسنا و عن أي عمل أو قول يصدر عن هذه الحواس.**

قوله تعالى : {وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } تضمنت ترغيبا بعد ترهيب لأن قوله تعالى: {وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ} تضمنت ترهيبا و وعيدا و تخويفا فجاء الترغيب بعد الترهيب حتى يعيش العبد وسطا بين المنزلتين، لأن الرهبة وحدها دون ترغيب قد ينشأ عنها قنوط ويأس من رحمة الله، وهذا ليس من المقاصد الشرعية. والترغيب دون ترهيب قد يجر الى التمادي وأمن الخوف و الوقوع في المعاصي وهذا ليس مرادا شرعا. فكان من حكمة الله أن ختم الآية بمايزيل الرهبة المطلقة الغير مقترنة بالترغيب حتى لا يحصل يأس و لا قنوط .و نظير هذا في القرآن قوله تعالى في الفاتحة :{الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة :٣] التي تشعر بالرحمة والطمأنينة بعد قوله : { رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الفاتحة : ٢] المتضمنة رهبة وتخويفا، لأن كلمة (رب) توحي بالجبروت و السلطة و القوة و العقوبة فجاءت الآيات بالتوازن دون أن يطغى جانب على آخر.

قوله تعالى : { غَفُورٌ حَلِيمٌ **} فيها امتنان و رحمة و تفضل على عباده أن يغفر لهم ماحدثت به أنفسها أو مايتسلط به الشيطان على بني آدم من وساوس مالم تعمل به. يدل لهذا قوله صلى الله عليه وسلم:(ان الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها مالم يتكلموا أو يعملوا به) (١) .**

وقوله تعالى:(غفور) على وزن فعول وهي احدى صيغ المبالغة بمعنى كثير المغفرة .وهذا يدل على سعة رحمة الله بعباده و أن رحمته سبقت غضبه . وكذلك يقال في (الحليم) .

قوله تعالى: (حليم) فلا يستعجل بعقوبة من ارتكب معصية بل يؤخره تعالى الى أجل مسمى لعله يتوب،وهذا من رحمة الله، ولكن اذا أخذه الله لم يفلته . يدل لهذا مارواه أبو موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله ليملي للظالم ، حتى اذا أخذه لم يفلته).ثم قرأ : {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**} (٢)**

.....

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦٩) وبلفظ آخر (٦٦٦٤) و (٢٥٢٨) ومسلم (١٢٧) (٢) أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٦)

تضمن قوله تعالى: (الحليم) الحث على سرعة التوبة وعدم الانغماس في المعاصي ، لأن الانسان لايدري متى يعاقب على أفعاله فربما يفاجأ بعقوبة الله فلا ينفع ندم حينئذ،وهي الأوقات التي لا تقبل فيها التوبة كالغرغرة و طلوع الشمس من مغربها .

يستفاد من الآية الكريمة عدة فوائد منها :

١– التحذير من ارتكاب المعاصي قولا أو فعلا، لأن الله تعالى مطلع على كل شي .
٢– التحذير من اضمار الشر في النفوس فضلا عن العمل به لأن الله تعالى يعلم مافي أنفسنا .
٣– كمال الله تعالى في صفاته و أفعاله لكونه وحده يعلم مافي أنفسنا قبل وقوعه دون غيره. وهذا من كمال ربوبيته و الوهيته و أنه وحده المستحق للعبادة دون غيره فمن لا علم عنده لا يستحق العبادة .
٤– الحث على فعل وقول الخير، لأن الله تعالى لما حذرنا عن اضمار أ و فعل أو قول ما لايرضى، تضمن الأمر بفعل العكس وهو الخير وهذا مبني على قاعدة أصولية أن النهي عن الشي أمر بضده و الأمر بالشئ نهي عن ضده. وهذا مبسوط في كتب الأصول. وقد نظَمَه العمريطي في "نظم الورقات" فقال:

وأمرنا بالشئ نهي مانع عن ضده والعكس أيضا واقع

٥– كمال الدين الاسلامي و وسطيته حيث يعيش المسلم بين الخوف و الرجاء .
٦– بلاغة القرآن حيث ختمتها الله بالترغيب بعد الترهيب و هذا يدل على أن القرآن مثاني .
٧– اثبات صفتي (الغفور والحليم) لله تعالى و ما تضمنته هاتان الصفتان من المغفرة والحلم و كذلك اثبات العلم المطلق لله تعالى. وكل هذه الصفات ثابتة لله تعالى على الوجه اللائق به دون تشبيه أو تحريف أو تعطيل وكذلك يقال في كل الصفات .
٨ – كثرة مغفرة الله تعالى وحلمه لقوله :(غفور حليم) بصيغة المبالغة .

الآية الثالثة

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْوَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْإِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَشْكُرُون } **[البقرة :٢٤٣]**

ذكر الله تعالى في هذه الآية قصة قوم خرجوا من بلدهم بعدد كبير هربا من الموت فأماتهم الله ثم أحياهم بقدرته تعالى. ومن تأمل هذه الآية، يتضح له أن قدر الله واقع لا مهرب منه مهما حاول الانسان دفعه وهذا لا يعا رض الأخذ بالأسباب، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الطاعون : (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه) (١) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره :(وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن يغني حذر من قدر و أنه لا ملجأ من الله إلا إليه ، فإن هؤلاء فروا من الوباء طلبا لطول الحياة فعوملوا بنقيض قصدهم وجاءهم الموت سريعا في آن واحد) (٢) .

قوله تعالى :{ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} **يدل على أن ايحائهم كان بعد فترة و ليس مباشرة بعد موتهم لأن (ثم) تدل على الترتيب مع التراخي.**

قوله تعالى :{ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَشْكُرُونَ} **فيه بيان فضل الله و رحمته وامتنانه على عباده جميعهم كفارا و مسلمين لأن لفظ (الناس) يشمل المسلم و غيره ولكن فضل الله على المسلم أشمل و أعم لأن فضل الله على المسلم يشمل الدنيا و الاخرة ،أما الفضل على الكافر فيكون في الدنيا دون الآخرة. و هذا يستوجب شكر الله تعالى .ثم بين تعالى أن الذين يشكرون قليل في مقابلة النعم الكثيرة التي أنعم الله بها على جميع الناس برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم و هي نعم لا تعد و لا تحصى كالصحة في الأبدان و الأمن في الأوطان و المال و الطعام و الشراب و الحواس و العقل و غيرها كثير .**

يستفاد من هذه الآية فوائد منها :

١– أن قدر الله واقع لامهرب منه .

٢– قدرة الله تعالى على اماتة الحي واحياء الميت وهذا من كمال ربوبيتة وألوهيته .

٣– الرد على منكري البعث، لقدرة الله على الاحياء والاماتة .

٤– بيان سعة فضل الله تعالى لقوله :{ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ }

٥– قلة الشاكرين لقوله تعالى :{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَشْكُرُونَ}

٦– وجوب شكر الله على نعمه الكثيرة .

٧– حلم الله تعالى على أكثر الناس الذين لا يشكرون لكونه تعالى لم يعاجلهم بالعقوبة على كفران النعم.

٨– جواز حذف ماهو معلوم من السياق لأن قوله تعالى :{فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا } **يدل على أن الله أمرهم بالموت فماتوا وهذا ما يسمى في البلاغه بالايجاز بالحذف.**

قال ابن مال في ألفيته المشهورة :

وحذف مايعلم جائز كما تقول زيد بعد من عندكما

يقصد يجوز أن تقول لمن سألك من عندكم ؟ فتكتفي بقول (زيد) و لا يلزم أن تقول عندنا زيد فتحذف كلمة (عندنا) لدلالة السياق عليها كما في هذه الآية الكريمة .

٩- اثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن أخبار الأمم السابقة لايعلمها الا الله تعالى ولا سبيل للرسول صلى الله عليه وسلم للعلم بها الا عن طريق الوحي.قال تعالى : {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ } [هود:٤] وقوله: {أَلم يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ} [إبراهيم:٩]

.....

(١) اخرجه البخاري برقم (٣٤٧٣) (٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٤١٥)

الآية الرابعة

قوله تعالى : {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِير } [آل عمران:٢٨]

وردت في سياق التحذير من أن يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين لأن ذلك ينافي كمال الايمان و يقدح فيه.قال تعالى : {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ} **قوله تعالى :** { وَيُحَذِّرُكُمُاللهُ نَفْسَهُ} **تضمنت معنى التهديد والتخويف والوعيد لمن يخالف المأمور به في هذه الآية وهو عدم اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين والبراءة منهم فمن خالف أوامر الله فقد عرض نفسه للعقوبة الشديدة. وذات التحذير يراد منه الخير و الرحمة بالعباد لأن المقصود التحذير من الوقوع في المحظور فيسلم من العقوبة .**

قوله :{وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ } **تحذير آخر يتضمن ماتضمنه التحذير الأول من التهديد والتخويف والوعيد فمن فعل ماهى الله عنه فان مرجعه حتمي يوم القيامة فيحاسب بماتوعد الله به، فتكرر تهديدان في نفس الآية. ومناسبة تكرير التهديدين أن الحال يقتضي ذلك فموالاة الكفار دون المؤمنين من أكبر قوادح الايمان فهو ينقض مبدأ الولاء والبراء الذي أقره الله في القرآن بقوله :**{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} **[المجادلة : ٢٢] فجعل سبحانه وتعالى علاقة الدين وروابطه أقوى من علاقة ورابط الدم .**

في هذه الآية اظهار في موضع الاضمار بمعنى أن الله لم يقل:(ويحذركم الله نفسه واليه المصير) بل كرر لفظ الجلالة مرتين في نفس الاية.قال الالوسي- رحمه الله- : (والاظهار في مقام اضمار لتربية المهابة وادخال الروعة)(١)

لا يدرك هذا التحذير على الوجه الذي أراده الله تعالى الا من كان عنده علم فكلما كان الانسان بالله أعلم كان منه أخوف. ومن أجل هذا قال الله تعالى عن الملائكة الذين يعبدون الله و يسبحونه ليلا ونهارا لايفترون :{لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} [الانبياء : ٢٨] وقال تعالى عن الأنبياء المكرمين : {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الانبياء : ٩٠]

.....

(١) روح المعاني (٣ / ١٢٦)

وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقوم حتى تتفطر قدماه فتقول له عائشة رضي الله عنها : (أتصنع هذا وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك و ماتأخر) فيقول عليه الصلاة والسلام أفلا أكون عبدا شكورا .(١).

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لن يدخل الجنة أحد بعمله ، قالوا و لا أنت يارسول الله ؟ قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته)(٢). وكذلك الحال مع العلماء العباد الصالحين يخافون من عدم قبول أعمالهم وذلك لادراكهم بما معهم من علم أن عملهم في مقابل نعم الله التي لاتعد و لا تحصى لن يعدل شيئا .

أما الجاهلون فلا يدركون تحذير الله بماحصل في قلوبهم من ظلمات الجهل، فلا يرون شيئا فهم كالعمي الذين لايبصرون.وثمرة ادراك تحذير الله تعالى أن ادراك التحذير ينشأ عنه خوف من الله في القلب فيستقيم عمل جوارحه فالقلب كالملك والجوارح كالرعية فمتى صلح الملك صلحت رعيته، فيستدل على صلاح الظاهر بصلاح الباطن فمتى صلح القلب صلح حال العبد واستقام ،ومتى فسد القلب انتكس حال العبد وخسر الدنيا والآخرة، و لا يستقيم القلب الا اذا كان خاليا من مرضي الشبهات و الشهوات فكما أن للأبدان أمراضا فان للقلوب أمراضا ، قال تعالى : {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة : ١٠] فاثبت الله تعالى أن للقلوب أمراضا.ثم توعد سبحانه بالعذاب الأليم لمن أصابه هذا المرض .وأمراض القلوب أشد فتكا وخطرا بالبشر من أمراض الأبدان لأن أمراض الأبدان قد يشفى منها فينتهي عهده بها أو يموت فيفارق مابه من مرض البدن أما أمراض القلوب فان آخرتنا التي فيها الخلود الأبدي تدور عليها فمن سلم من أمراض القلب استقام حاله في الدنيا والآخرة ومن أصابه مرض القلب انتكس في الدارين .ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله و اذا فسد فسد الجسد كله ألا و هي القلب)(٣).وأهل العلم الصالحون هم الذين أدركوا هذا التحذير وعملوا به وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله : {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [الانعام : ٥٢]. قال ابن عاشور رحمه الله : **(هم المؤمنون الممثلون بحال البصير .وعرفوا بالموصول لما تدل عليه الصلة من المدح ، ومن التعليل بتوجيه إنذاره إليهم دون غيرهم ، لأن الإنذار للذين يخافون أن يحشروا إنذار نافع ، خلافا لحال الذين ينكرون الحشر، فلا يخافونه فضلا عن الاحتياج إلى شفعاء.) (٤)**

من فوائد الآية الكريمة

١- رحمة الله تعالى بعباده حيث حذرهم مما يتوجب عذابهم .

٢- التحذير من ارتكاب ما حرم الله .

٣- تشديد التحريم اذا كان المقام يقتضي ذلك لكونه تعالى كرر التحذير مرتين في نفس الآية .

٤- الحث على طاعة الله، لأن النهي عما حذر الله منه يدل على الضد وهو امتثال أوامره تعالى .

٥- أن من خالف أمر الله فانه لن يفلت من العقوبة لأن مصيره حتما الى الله و لن يجد أي مهرب من عذاب الله .

٦- أن المصير الى الله وحده دون غيره لتقديم الجار والمجرور في قوله تعالى : (والى الله المصير) وتقديم الجار والمجرور يفيد الحصر يعني المصير لى الله لا الى غيره .

.....

(١) اخرجه مسلم برقم (٢٨١٩) **(٢) اخرجه مسلم برقم (٢٨١٦)**

(٣) اخرجه مسلم برقم (١٥٩٩) **(٤) التحرير والتنوير (٧ / ٢٤٤)**

الآية الخامسة

قال تعالى : {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ) [ال عمران : ٣٠]

هذا ختم آية جاء قبلها {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ }.بوب البخاري رحمه الله في صحيحه لهذه الآية: (باب قول الله تعالى : {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ } ثم ساق الأحاديث الواردة في هذا الباب وهي أنه لا أحد أغير من الله و ان رحمته سبقت غضبه وأن الله عند ظن عبده به اذا ذكر الله في ملأ ذكره الله في ملأ خير منه) (١)

بوب النووي رحمه الله في رياض الصالحين باب (الخوف) ثم ساق الآيات التي تحث على الخوف من الله تعالى و منها {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ}قال ابن الجوزي رحمه الله في التبصره في الوعظ : (لما سمع المتيقظون هذا التحذير فتحوا أبواب القلوب لنزول الخوف فأحزن الأبدان وقلقل الأرواح ، فعاشت اليقظة بموت الهوى و ارتفعت الغفلة بحلول الهيبة وانهزم الكسل بجيش الحذر فتهذبت الجوارح من الزلل والعزائم من الخلل فلا سكون للخائف و لا قرار للعارف كلما ذكر العارف تقصيره ندم على مصابه واذا تصور مصيره حذر مما في كتابه و اذا خطر العتاب بفنائه فا لموت من عتابه فهو رهين القلق بمجموع أسبابه)(٢).جاء قوله تعالى : {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ } بعد تذكيره تعالى عباده أن كل أعمالهم من خير أو شر سيحضرها سبحانه وتعالى يوم القيامة فيحاسبهم عليها ثم ذكر ندم من عمل عملا سيئا بأنه سيندم أشد الندم دون أن ينفعه ندمه ،وهذا فيه معنى التحذير من ارتكاب المعاصي .

قوله تعالى : {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ }تحذير لكل من يتجرأ على اتيان المعاصي بأنه سيندم ندما شديد. فيجب الابتعاد عما يغضب الله حتى لا يقع في دائرة غضب الله فيصيبه ماحذر الله منه. قال تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا} [الفرقان : ٢٧ / ٢٨ / ٢٩]

.....

(١) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد (ص ١٠١٦) (٢) التبصرة (١ /٨٠)

قوله تعالى: {وَاللَّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ } الرأفة أشد الرحمة و فيه اظهار رحمة الله تعالى بعباده حتى لا يتولد من التحذير الشديد قنوط من رحمته. فبدأ الله هذا الآية الكريمة بالعدل و توسطها بالتحذير و ختمها بالرحمة .ومن رأفة الله بعباده أنه يغفر الذنوب ويقبل التوبة ممن أساء ويحذرهم من جميع أعدائهم كالشيطان و النفس الأمارة بالسوء {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ } [يوسف : ٥٣]. ومن تأمل هذه الآية وجد أنها مؤكدة بمؤكدين هما (ان) و (اللام) الداخلة على خبر ان .قال الشوكاني رحمه الله : ("والله رؤوف بالعباد" دليل على أن هذا التحذير الشديد مقترن بالرأفة منه سبحانه بعباده لطفا بهم) (١)

دلت الآية على أخذ الحيطة و الحذر في الأعمال و الأقوال و محاسبة النفس لأن كل فعل أو قول سيحصيه الله تعالى، ثم توفى كل نفس ماكسبت و هم لايظلمون . قال تعالى : {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المجادلة : ٦].

يتفرع عن الحذر الشديد وجوب محاسبة النفس ومراقبتها حتى لاتقع في المحذور فتندم فتستحق العذاب المترتب على ارتكاب ماحذر الله منه . قال الكرماني رحمه الله : **(قوله: ويحذركم الله نفسه(آل عمران: ٢٨) كرره مرتين لأنه وعيد عطف عليه وعيد آخر في الآية الأولى فإن قوله و إلى الله المصير معناه مصيركم إلى الله والعذاب معد لديه فاستدركه في الآية الثانية بوعد وهو قوله تعالى والله رءوف بالعباد (آل عمران: ٣٠) والرأفة أشد من الرحمة وقيل من رأفته تحذيره)(٢)**

من فوائد الآية :

١- التحذير الشديد من الوقوع فيما نهى الله عنه لقوله:{ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ }

٢- رحمة الله بعباده حيث حذرهم من الوقوع في المحذور فيسلموا من العقوبة .

٣- الجمع بين الترغيب والترهيب حيث حذر تعالى تحذيرا شديد من مخالفة أمره ثم بين في نهاية الآية أنه رؤوف رحيم فلا يحصل يأس أو قنوط من رحمته ..

٤ – اثبات اسم (الرؤوف) لله تعالى و ما يتضمنه هذا الاسم من الرأفة على الوجه اللائق به تعالى .

.....

(١) فتح القدير (١ / ٢٧١) **(٢) اسرار التكرار في القران (ص ٨٩)**

الآية السادسة

قال تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا} [النساء : ٧١]

بدأ الله تعالى هذه الآية الكريمة بنداء المؤمنين بوصف الايمان لحثهم على التزام الأمر الآتي بعده، فهو كالمقدمة للأمر الآتي و أن من الايمان أن يفعلوا ماسيؤمرون به بعد ذلك . قال ابن مسعود رضي الله عنه : (اذا سمعت الله يقول :("ياايها الذين امنوا " فأرعها سمعك فانه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه) .وتصدير الخطاب ب (يا أيها الذين آمنوا) فيه عدة فوئد :

١- جذب اهتمام السامع بواسطة حرف النداء (يا) .

٢- الاهتمام بالموضوع الآتي .

٣- الحث على الفعل المأمور به.

٤- أن مخالفة فعل المأمور به نقص في الايمان.

قال الأنصاري ، وهو مالكي من علماء المغرب العربي ، في منظومته (اليواقيت الثمينة) :

ولابن عباس كلام أرشدا	لذا فقد قال كبير الرشدا
اذا سمعت الله يدعوك فما	الا الى خير يراد فاعلما
أو دفع شر فافاد أن	الحكم مشروع لسر عنا
لكنه تفضلا ليس يجب	دع قول من ضل و زل وحجب

لما ذكر الله تعالى في الآية التي قبلها طاعة الله و الرسول و الثناء على من انقاد لله و رسوله، ذكر في هذه الآية وجوب أخذ الحذر و الحيطة من العدو ، و الحذر سبق تعريفة أنه التحرز من الوقوع في المحظور .

قال ابن عاشور رحمه الله : **(ولفظ " خذوا " استعارة لمعنى شدة الحذر وملازمته ، لأن حقيقة الأخذ تناول الشيء الذي كان بعيدا عنك ، ولما كان النسيان و الغفلة يشبهان البعد و الإلقاء كان التذكر والتيقظ يشبهان أخذ الشيء بعد إلقائه ، كقوله خذ العفو ، وقولهم : أخذ عليه عهدا وميثاقا . وليس الحذر مجازا في السلاح كما توهمه كثير ، فإن الله تعالى قال في الآية الأخرى ,ولياخذوا حذرهم وأسلحتهم ، فعطف السلاح عليه .(١)**

.....

(١) التحرير والتنوير (2 / 118)

وأخذ الحذر يشمل الأخذ بكل سبب يؤدي الى تحقيق الأمن واتقاء شر العدو وافشال كل مخططاتهم التي يريدون بها اضعاف المسلمين، ويشمل أيضا حث المسلمين على اتخاذ كل الوسائل التي تحقق النصر للمسلمين من تعلم العلم النافع بكل أشكاله وكذلك معرفة أرض و سلاح العدو. و التحذير يشمل و جوب أخذ اليقطة والحذر من العدو الداخلي وهم المنافقون . قال تعالى : {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ} [المنافقون :٤] وقد أنزل الله سورة كاملة عن المنافقين تتحدث عنهم . و كان النبي صلى الله عليه وسلم في غزواته يأخذ بأمر الله في هذه الاية ، فيحذر العدو ببعث عيونا الى أرض العدو قبل المعركة فتأتي اليه صلى الله عليه وسلم الأخبار بأرض العدو واستعدادهم وعددهم وعدتهم ونواياهم فيكون صلى الله عليه وسلم عاملا بهذه الآية مما ساعده يتحقيق النصر في غزواته عليه الصلاة والسلام .وعمل المسلمون من بعده بطريقته في الفتوحات الاسلامية التي تلت وهذا مبسوط في كتب السيرة والمغازي .

والحذر بمفهومه الشامل يشمل وجوب أخذ الحذر من جميع الأعداء الذين يردون المسلم عن ذكر الله كالشيطان و النفس الأمارة بالسوء .

قوله تعالى :{فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا}الأمر بالنفر هنا متفرع عن الأمر بأخذ الحذر من الكفار بكل الوسائل السابق ذكرها . ثم ذكر الله تعالى هنا أن النفر يكون بالخروج متفرقين سرية بعد سرية أو فرقة بعد فرقة أو لواء بعد لواء أو اخرجوا كلكم لاظهار القوة و بث الرعب في قلوب الأعداء.والخروج جميعا أو متفرقين يعود الى المصلحة العامة و حسب مايقتضي الحال و هو راجع الى امام المسلمين .

من فوائد الآية :

١- تربص العدو بالمسلمين لأمر الله أخذ الحذر منهم .

٢- وحوب اليقظة حتى يتحقق الأمن للمسلمين .

٣- اخذ الحذر من أسباب النصر

٤- وجوب تعلم العلم الذي به يكون النصر

٥- معرفة الشي بضده لأن قوله تعالى ك(أو جميعا) اتضح به معنى (ثبات) يعني متفرقين.

٦- مراعاة الحال الذي به تتحقق المصلحة العامة من قولة: (أو) المفيدة للتخيير .

٧ – وجوب الأخذ بالأسباب لأن أخذ الحذر من أسباب السلامة .

الآية السابعة

قال تعالى : {وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ } [النساء : ١٠٢]

وردت في سياق صلاة الخوف في حال الحرب ، وفيها محبة الله تعالى للذين يقاتلون في سبيله و اهتمامه تعالى بهم و ارشادهم الى سبيل النصر فان أخذ الحذر والحيطة من العدو من أسباب النصر كما تقدم في فوائد الآية السابقة.
قال القرطبي رحمه الله : (و هذا يدل على تأكيد التأهب والحذر من العدو في كل الأحوال و ترك الاستسلام؛ فإن الجيش ما جاءه مصاب قط إلا من تفريط في حذر.) (١)

بوب البخاري رحمه الله في صحيحه (باب : يحرس بعضهم بعضا في صلاة الخوف) ثم ساق حديث ابن عباس رضي الله عنه في صفة صلاة الخوف وفي آخره (والناس كلهم في صلاة و لكن يحرس بعضهم بعضا (٢).
وفي هذا الحديث تطبيق للحذر واتباع لما أمر الله به في هذه الآية الكريمة .
ورد الحذر في هذه الآية بمعنييعها المجازي والحقيقي فأخذ الحذر من العدو المعنى المجازي، وأخذ الأسلحة المعني الحقيقي.
قال الشيخ عبد الله البسام- رحمه الله - : (ويحمل خائف — ندبا — في صلاة الخوف سلاحا يدفع به عن نفسه ولا يثقله كسيف وسكين لقوله تعالى : {وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ}و لا يجب في قول أكثر أهل العلم)(٣).
من فوائد الآية :

١- وجوب اليقظة و أخذ الحذر من العدو في حال الحرب .
٢- حب الله لعباده المجاهدين في سبيله لأمرهم وحثهم على أخذ الحذر.
٣- عداوة الكفار للمسلمين لرغبتهم في النيل من المسلمين .
٤- من الفوائد البلاغية أن لفظ (أخذ) يستعمل مجازا و حقيقة
٥- حمل السلاح اثناء صلاة الخوف لأن الآية وردت في سياق صلاة الخوف .

.....

(١)تفسير القرطبي (٥ / ٣٧٣) (٢) انظر صحيح البخاري ، كتاب الخوف ،حديث رقم (٩٤٤)(٣) نيل المآرب (١ / ١٩٥)

الآية الثامنة

قال تعالى : {وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ} [النساء : ١٠٢]

ورد الأمر بأخذ الحذر في نفس الآية في حال الحرب اذا وضعت الأسلحة أثناء صلاة الخوف على الأرض بسبب مطر، لأن نزول المطر في حال الحرب قد يتسبب في بلل السلاح أو الملابس فتثقل فيصعب حملها أو قد يكون المقاتل مريضا أو مثخنا بالجراح فيعجز عن حمل السلاح فرخص الله تعالى بوضع السلاح على الأرض اذا حصل عذر مما تقد. وفي هذه الحال وجه الله تعالى الذين يقاتلون في سبيله أن ياخذوا حذرهم حتى لايفاجئهم العدو فيميلوا عليهم ميلة واحدة كما ورد في نفس الآية : {وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً }

من فوائد الآية :

١- الاهتما البالغ بأخذ الحذر لتكراره مرتين في نفس الآية .

٢- ارادة الله النصر لعباده المؤمنين .

٣- رحمته تعالى بعباده حيث أرشدهم الى الأخذ بأسباب النصر .

الآية التاسعة

{يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا } [المائدة : ٤١]

وردت في سياق آية تتحدث عن يهودي زنا بيهودية محصنين. وكان هذا في بداية العهد المدني قبل اجلائهم من المدينة وهم بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع.وفي الآية دلالة على أن اليهود عندما جاؤا الى الرسول صلى الله عليه وسلم لم يريدوا الحق وانما أرادوا تحقيق هواهم ، وكان مجيؤهم الى النبي صلى الله عليه وسلم طوعا لا عنوة . وسبب تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم لحكم التوراة :

١- بيان كذب اليهود وأنهم لم يلتزموا بأحكام دينهم .

٢- اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم مع أن اليهود كانوا يعلمون ذلك فانكروا نبوته حسدا وحقدا . وأن الوحي الذي نزل على رسولهم موسى صلى الله عليه وسلم هو نفسه الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

وكان اليهود قد حرفوا حد الزنا الموجود عندهم في التوراة بالرجم بالجلد والتحميم . قال الطبري – رحمه الله في تعريف التحميم : (وهو الجلد بحبل من ليف مطلي بقار ، ثم يسود وجوههما ، ثم يحملان على حمارين وتحول وجوههما من قبل دبر الحمار) (١) فذهبوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم يستفتونه لعله يفتيهم فيما يوافق هواهم فقوله تعالى : {فَخُذُوهُ} يعود على الحكم الذي يريده اليهود في حكم الزاني والزانية المحصنين والذي يوافق هواهم وهو الجلد والتحميم وقوله :{وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا} يعني الحكم الموجود في التوراة وهو الرجم الذي حرفوه و لايوافق هواهم .

أخرج مسلم في صحيحه عن البراء بن عازب قال: مُرَّ على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بيهودي مُحَمَّمٍ مجلود، فدعاهم فقال: وهكذا تجدون حدَّ الزاني؟" قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم قال له: "نشدتك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟" فقال: اللهم لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجد حدَّ الزاني في كتابنا الرَّجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الرجل الشريف تركناه، وإذا أخذنا الرجل الضعيف أقمنا عليه الحد. فقلنا: تعالوا فنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد وتركنا الرجم.فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "اللهم إنِّي أول من أحيا أمرك إذ أماتوه" فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} إلى قوله: { يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا } إلى قوله: { وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } [المائدة: ٤٢-٤٤] في اليهود إلى قوله: { وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } في اليهود، إلى قوله: { وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [المائدة: ٤٥-٤٧] قال: هي في الكفار كلها، . (٢)

.....

(١) تفسير الطبري (٤ / ٥٢٥) **(٢) الحديث برقم (١٦٩٩**

حذر اليهود هنا مبني على الهوى و الزيغ والضلال و رد حكم الله لما يوافق فطرتهم الزائغة . وصف الله تعالى اليهود بأوصافهم الذميمة بأنهم يسارعون في الكفر وهذا يدل على زيغهم وضلالهم وأنهم يقولون آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم و هذا يدل على نفاقهم ودجلهم وعدم صفاء سريرتهم ونيتهم و خداعهم لله و لرسوله و لمن حولهم وأنهم سماعون للكذب. وهذا يدل على كثرة سماعهم للكذب و هو قول أحبارهم بتحريف حكم الزاني المحصن من الرجم الى الجلد.وكانوا اذا زنى فيهم الضعيف رجموه واذا زنى الشريف لم يقيموا عليه الحد. وهذا يدل على انحرافهم عن الصراط المستقيم الذي أراده الله لعباده ، والذي سيوردهم الى طريق الهلاك ويحلهم دار البوار وأنهم يحرفون الكلم من بعد مواضعه، و هو تغيير حكم الزاني المحصن من الرجم الى الجلد و هذا يدل على ضلالهم و عدم انقيادهم للحق وعمى قلوبهم بسبب معاصيهم .ثم ذكر الله تعالى في الآية التالية أنهم (أكالون للسحت) وهو كل كسب حرام من ربا أو رشوة .

من فوائد الآية :

١- ضلال اليهود لعدم قبولهم حكم الله وتحريفهم كلام الله .
٢- أن من حرف كلام الله ففيه شبه من اليهود
٣- تخلق اليهود بأخلاق ذميمة كالكذب وسماعه وتحريف احكام الله فيما يوافق هواهم وكثرة أكلهم أموال الناس بالباطل .
٤- يتفرع عن الفائدة الثالثة و جوب الحذر من اليهود و من شابهم لتخلقهم بالأخلاق الذميمة المشار اليها آنفا
٥- أهمية دور العلماء في صلاح لناس لأن اليهود انما ضلوا بسبب أحبارهم .
٦- ذم اتباع الهوى وأنه موصل للهلاك .وقد قيل :(آفة العقل الهوى) وأكثر أهل الضلال انما ضلوا بسبب اتباعهم أهوائهم.
٧- فضيلة قبول الحق حتى و لو كان ثقيلا على النفس بمفهوم المخالفة .
٨- كراهة اليهود الحق كراهة شديدة،لقوله تعالى اخبارا عنهم :{وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا} والحذر يقتضي الخوف الشديد من محظور .

الآية العاشرة

قال تعالى :{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} [المائدة :٤٩]

مناسبة الآية لما قبلها : أن الله تعالى لما ذكر التوراة والانجيل ومافيهما من الهدى والنور شرع في الكلام على القرآن والأمر بوجوب الحكم به. وأن القران مؤيد للكتب السماوية السابقة وجامع ، لها وناسخ لجميع الكتب السابقة .في هذه الآية أمر للرسول صلى الله عليه وسلم أن يحكم شريعة الله في جميع شؤن الحياة . ولهذا نظائر كثيرة في القرآن منها {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ} [المائدة : ٥٠]و قوله تعالى : {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا} [النساء : ١٠٥] وقوله تبارك وتعالى : {وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [المائدة :٤٢]. والخطاب الموجه للرسول صلى الله عليه وسلم موجه لأمته الا مادل الدليل على تخصيصه بالرسول صلى الله عليه وسلم.لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .وعلى هذا يكون الأمر بتحكيم الشرع موجه لكل ولاة المسلمين . قال الزركشي – رحمه الله – في قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } [الاحزاب : ١](الخطاب له و المراد المؤمنون لأنه صلى الله عليه وسلم كان تقيا و حاشاه من طاعة الكافرين و المنافقين و الدليل على ذلك قوله في سياق الاية : {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } [الاحزاب : ٢])(٢) .ويفهم من الأمر بتحكيم الشرع تحذير عن تحكيم غير ما أنزل الله تعالى من الأحكام الوضعية . واذ عاش المسلم في بلاد الكفار فله أن يتحاكم اليهم اذا لم يستطع الحصول على حقه الا عن طريقه. ويجب عليه أن يعتقد فساد حكمهم .والحكم بغير ما أنزل الله يختلف حكمه بحسب اعتقاد صاحبه فان اعتقد أن حكم ما أنزل الله غير و اجب فهذا كفر مخرج عن الملة بنص القران. (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة:٤٤] وان اعتقد وجوب تحكيم ماأنزل الله لكنه عدل عنه فهو عاص ولكنه ليس خارجا عن الملة . وتكرر الأمر بالحكم بما أنزل الله في الآية التي قبلها للتوكيد وشدة الاهتمام لأن المقام يقتضيه فأهل الكتاب مابرحوا يحاولون الوصول الى الأحكام التي توافق أهوائهم لا الحق الموجود في القرآن .

قال ابن القيم – رحمه الله – : (و أما الحكم المبدل ، وهو الحكم بغير ماأنزل الله ، فلا يحل تنفيذه و لا العمل به و لا يسوغ اتباعه و صاحبه بين : الكفر و الفسوق و الظلم)(١). و يتفرع عن الحكم بغير ماأنزل الله تقليد العلماء و التعصب لهم لمن وسعه معرفة الحكم الصحيح بنفسه وهم أهل العلم لا العوام الذين لا يستطيعون معرفة الدليل . وتحذير الأئمة عن اتباعهم اذا تبين للاتباع الدليل معروف ومشهور .

.....

(١) الضوء المنير على التفسير (٢ / ٤١١) (٢) البرهان في علوم القران (٢ / ٢٤٢)

قوله تعالى : {وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ } تضمنت النهي الصريح عن اتباع أهواء أهل الكتاب الذين لايريدون الحق ،بل يسعون الى تحقيق أهوائهم بضلالهم وزيغ قلوبهم بكل ما أوتوا من حيلة ، وفيها تربية قرآنية صريحة للنبي صلى الله عليه وسلم بالاستقامة على طريق الله الذي أراده له و لأمته من بعده . قال محمد رشيد رضا – رحمه الله – : (ولا تتبع أهواءهم بالاستماع لبعضهم و قبول كلامه ولو لمصلحة في ذلك وراء الحكم ، كتأليف قلوبهم وجذبهم إلى الإسلام فإن الحق لا يتوسل إليه بالباطل) (١) .

ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لن يتبع أهوائهم لأنه معصوم و المراد بخطابه في هذه الآية التشريع لأمته بالنهي عن اتباع اهواء الذين خالفوا دينه. ولهذا نظائر كثيرة في القرآن منها قوله – تبارك وتعالى – :{وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف : ٢٨] ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لايريد زينة الحياة الدنيا ولن يطيع من أغفل الله قلبه عن ذكره . وقوله تعالى :{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً} [الاحزاب : ١-٢-٣] والرسول صلى الله عليه وسلم قطعا متق لله ومتبع للوحي ومتوكل على الله . وقوله تعالى : {وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ} [الاحزاب : ٤٨] وهو عليه الصلاة والسلام لن يطيع الكافرين والمنافقين والمقصود من هذا كله التشريع .

والنهي عن اتباع أهواء من خالفوا دين الله جاء في أكثر من موضع في القرآن منه قوله تعالى : {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ} [الشورى : ١٥] وقوله تبارك وتعالى :{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ } [البقرة : ١٤٥] وقوله تعالى : {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ} [الرعد : ٣٧] وقوله :{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ } [البقرة : ١٢٠] وقوله : {وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } [الانعام : ١٥٠] والآيات في هذا الباب متضافرة .

و ما ضل الضالون الا باتباع الهوى ،كما قال تعالى : {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص : ٢٦] فالفاء في قوله تعالى : { فَيُضِلَّكَ} للسببية يمعنى أن الضلال بسبب اتباع الهوى كما يقال: سرق فقطعت يده. فقطع اليد بسبب السرقة . ونظيره شرب الخمر فجلد وقتل فقتل و زنا فرجم .وقوله : {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } [النازعات : ٤٠] وقوله :{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَواه } [الفرقان : ٤٣]

قوله تعالى :{فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [القصص : ٥٠] . وجاء التحذير عن اتباع الهوى مكررا في هذه الآية. فقد جاء في الآية التي قبلها وهو من باب شدة التحذير ويدل على الاهتمام البالغ في التحذير لأن أهل الكتاب حاولوا كثيرا اضلال النبي صلى الله عليه وسلم .

.....

(١) تفسير المنار (٦ / ٤٢١)

وقد ألف العلماء رحمهم الله تعالى عن الهوى كا (ابن الجوزي) في كتابه (ذم الهوى) وغيره ، ونظمت القصائد التي تتحدث عن الهوى و أنه يقود الى المهالك كا (ابن حزم) – رحمه الله – في (طوق الحمامة).

ثم جاء التحذير من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه واله وسلم باتخاذ الحذر من فتنتهم بقولة :{وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ}وهذا التحذير الرباني موجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم والمؤيد بالوحي من الله تعالى قال – تبارك وتعالى :{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَتَّخَذُوكَ خَلِيلاً *} [الإسراء: ٧٣]. فاليهود والنصارى لايدخرون جهدا في فتنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه ليخرجوهم من دين الله حسدا وحقدا من عند أنفسهم .

وفي هذا التحذير من الله تعالى تربية للرسول صلى الله عليه وآله و سلم وكل أمته بأخذ أشد الحذر من جميع أعداء دين الله من اليهود والنصارى وغيرهم . وفيه دلالة و اضحة أنهم يتربصون بالمسلمين ويريدون اضلالهم . ومن أجل هذا جاء التحذير الالهي . و اذا كان هذا التحذير موجها للنبي صلى الله عليه وسلم وهو التقي النقي ، فغيره من باب أولى ممن هو أقل ايمانا. واذا كان هذا التحذير الالهي نزل في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وزمن الصحابة وهم خير القرون، فزماننا من باب أولى .وفي هذا التحذير القرآني فضح من الله تعالى لمكرهم حتى يحذرهم الجميع واخبارهم بان مكرهم لن ينحج فيصيبهم اليأس. {بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } [الرعد : ٣٣] {وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ } [فاطر : ١٠] {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر : ٤٣]. والآيات في هذا الباب كثيرة التي تدل على أن أهل المكر لايفلحون وأن الله تعالى يدفع مكر الماكرين عن اوليائه كما دفع المكر عن مؤمن ال فرعون واحل العذاب بال فرعون لما كفروا {فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ } [غافر] :45

قوله تعالى : { عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ } المقصود بالبعض هنا حكم الرجم في الزنا للمحصن والأحكام التي كان يريدها اليهود والنصارى من النبي صلى الله عليه وسلم و التي توافق أهوائهم ولم يريدوا بها الحق.قال ابن العربي رحمه الله : (والصحيح أن { بعض } على حالها في هذه الآية ، وأن المراد به الرجم أو الحكم الذي كانوا أرادوه ولم يقصدوا أن يفتنوه عن الكل) (١) .

.....

(١) احكام القران لابن العربي (٢/ ١١٨)

قوله تعالى : {فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ} يقول تعالى مخبرا نبيه صلى الله عليه وسلم أن أعرض عن هؤلاء الذين جاؤك مستفتين وهم يريدون شيئا يطابق هواهم ، لا الحق الذي عندك، فلا تحزن عليهم فقد أديت ماعليك في تبليغ الحق وأن اعراضهم عن الحق الذي أنزله الله سيكون سببا في خذلانهم وضلالهم وشقائهم .

وفي الآية دلالة على أن الاعراض عن الحق سبب في الهلاك لأنهم انما ضلوا بسبب اعراضهم عن الحق واتباع اهوائهم .قال القرطبي – رحمه الله – : (يعذبهم بالجلاء والجزية والقتل ، وكذلك كان ، وإنما قال : ببعض لأن المجازاة بالبعض كانت كافية في التدمير عليهم) (١)

قوله تعالى : {وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ }في هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهوين عليه بعدم الحزن على هؤلاء الزائغين اذا اعرضوا ولم يقبلوا حكمه لأن النبي صلى الله عليه وسلم يصيبه الحزن اذا أعرض الناس عن الحق { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ } [الحجر : ٩٧] وفي موضع آخر من القرآن {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ} [الانعام :٣٣]وفيها اخبار من الله تعالى أن الفسق ، وهو الخروج عن الطريق المستقيم ، من طبع كثير من الناس . و المتأمل لهذه الآيه يجد أن الله تعالى قد أكد خروج كثير من الناس عن الصراط المستقيم بمؤكدين وهما (أن) و (اللام) الواقعة في خبر ان، للتوكيد على أن سالكي الطريق المستقيم حقيقة قلة.ويدل لهذا قوله تعالى : {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يوسف : 103] فأثبت الله تعالى قلة المؤمنين وحرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية الخلق . وفي موضع آخر من القران {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ} [الأنعام : ١١٦] .

من فوائد الآية :

١- وجوي الحكم بما أنزل الله تعالى .
٢- تحريم الحكم بغير ما أنزل الله .
٣- ان القرآن منزل من السماء لأن النزول انما يكون من علو الى أسفل .
٤- شمول الشريعة الاسلامية الاسلامية من الاسم الموصول (ما) في بما أنزل
٥- شمول المسلمين بالخطاب الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم الا مادل الدليل على تخصيصه بالرسول صلى الله عليه وسلم .
٦- النهي عن اتباع الهوى و أنه يوصل للمهالك .
٧- التحذير من الفتنة .
٨- اردة أهل الكتاب الفتنة للمسلمين
٩- حقد أهل الكتاب على المسلمين لأنهم يريدون لهم الفتنة

.....

(١) تفسير القرطبي (٦ / ٢١٤)

١٠ – وجوب الحذر من أعداء الاسلام

١١ – تربص أعداء الاسلام بالمسلمين

١٢ – – اثبات الارادة لله على الوجه اللائق به تعالى .

١٣ – أن المعصية سبب في الضلال و التولي عن دين الله .

١٤ – كثرة الفاسقين .

١٥ – قلة المستقيمين على صراط الله المستقيم.

١٦ – اثبات الارادة للانسان لقوله تعالى :{فَإِن تَوَلَّوْا } فأسند فعل التولي لهم و في هذا رد على الجبرية الذين يقولون ان الانسان مجبور على فعله. فنفوا أن يكون للانسان ارادة، فالانسان عندهم كالريشة في مهب الريح لا اختيار له .

١٧ – حب الله تعالى لنبية و تسليته بأن من تولى و أعرض عن دين الله فان توليه بسبب ذنوبه التي اكتسبها واعراضه حتى لايصيب الرسول صلى الله عليه وسلم حزن أو ضيق وأن الرسول صلى الله عليه وسلم عليه البلاغ و ليس الهداية.

١٨ –كثرة ذنوب أهل الكتاب لأن الله تعالى عبر عن البعض ،و هذا يدل على وجود ذنوب أخرى .

١٩ – اثبات انزال القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله : {إِلَيْكَ .}

الآية الحادية عشرة

قال تعالى :{وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ } [المائدة : ٩٢]

وردت هذه الآية بعد توجيه الخطاب للمؤمنين بأن الخمر و الميسر والأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان. ثم أمر تعالى باجتناب ما تقدم ذكره و كون ماتم التحذير منه من عمل الشيطان فيه حث شديد على البعد عنه لأن الشيطان عدو مبين للانسان كما ورد في القرآن في مواضع كثير لاتخفى على أحد. ثم ذكر سبحانه وتعالى أن عدونا الشيطان الذي يتربص بنا الدوائر يريد أن يوقع المؤمنين في العداوة و البغضاء في شرب الخمر وممارسة الميسر .{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ } [المائدة :٩٠ – ٩١] .

ثم أمر – تبارك وتعالى – بطاعته و طاعة الرسول وجعلهما شيئا واحدا لأن من أطاع الله فقد أطاع الرسول والعكس صحيح. و من عصى الله فقد عصى الرسول والضد صحيح يشهد لهذا قوله تعالى في الآية الأخرى {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ: } [النساء : ٨٠]. فالرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله ومشرع ومؤيد بالوحي فهو عليه الصلاة و السلام لاينطق عن الهوى {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم : ٣ – ٤] وطاعة الرسول سبب في الرحمة { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [آل عمران: ١٣٢]. وطاعة الله و رسوله يترتب عليها الثواب و مخالفة الأمر يترتب عليه العقاب . وجاء الوعد من الله – تبارك وتعالى – بالوعد بالثواب العظيم في مواضع كثيرة في القرآن منها { :وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [النساء : ١٣] و قوله تعالى :{وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } [النساء : ٦٩] وقوله تعالى :{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور : ٥٢]

ولأن القران مثاني، ذكر في مقابل الوعد بالثواب للطائعين الوعيد بالنار للعاصين الذين يتعدون حدوده . قال تعالى : { وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ } [النساء : ١٤] فجعل الله تعالى في هذه الآية معصية الله ورسولة شيئا واحد .و ذكر الله تعا لى في موضع آخر من القرآن أن من يعص الرسول صلى الله عليه وسلم سيندم ندما شديدا يوم القيامة .{ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا} [النساء :٤٢] فكل هذه الآيات تدل على أن طاعة الله و رسوله شيئ واحد ومعصية الله ورسوله ذات الشئ.

وفي الآية دلالة على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم. وان لم يكن موجودا في القرآن. ولهذا أمثلة كثيرة كعدد ركعات الصلوات، فالله أمر باقامة الصلاة في القرآن ولم يذكر في القرآن أن الفجر ركعتان و الظهر أربع، وبينته السنة و كذلك الحج وردت تفاصيله في السنة .و الأمثلة على هذا كثيرة .

وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم الواجبة هي الأمر أو النهي المتعلق بأحكام الدين . أما الأمر أو النهي الذي ليس متعلقا بحكم شرعي فليس داخلا في هذه الآية ،فالطاعة فيه تكون من باب الأدب . قال ابن عاشور رحمه الله : (فطاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – التي أمروا بها هي امتثال ما أمر به ونهى عنه من أحكام الدين.وأما ما ليس داخلا تحت التشريع فطاعة أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيه طاعة انتصاح وأدب ، ألا ترى أن بريرة لم تطع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في مراجعة زوجها مغيث لما علمت أن أمره إياها ليس بعزم .) (١).

وقصة بريرة التي أشار اليها ابن عاشور – رحمه الله – أخرجها البخاري في صحيحه : (عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي و دموعه تسيل على لحيته فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعباس: يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة و من بغض بريرة مغيثا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو راجعته قالت يا رسول الله: تأمرني؟ قال إنما أنا أشفع. قالت: لا حاجة لي فيه)(٢). وكانت بريرة أمة فأعتقتها عائشة – رضي الله عنها – وكان زوجها ، مغيث ، عبدا فلما أصبحت حرة كان لها الخيار في البقاء مع زوجها العبد أو مفارقته، فاختارت مفارقته. وترجم لها البخاري (باب شفاعة النبي صلل الله عليه وسلم في زوج بريرة).قال ابن حجر– رحمه الله –: (قال ابن بطال : أجمع العلماء أن الأمة إذا عتقت تحت عبد فإن لها الخيار ، والمعنى فيه ظاهر لأن العبد غير مكافئ للحرة في أكثر الأحكام ، فإذا عتقت ثبت لها الخيار من البقاء في عصمته أو المفارقة لأنها في وقت العقد عليها لم تكن من أهل الاختيار) (٣).وحكى الاجماع ايضا ابن عبدالبر في التمهيد على أن الأمة اذا عتقت كان لها الخيار في مفارقة زوجها العبد) (٤)

وفي صلح الحديبية أمر الرسول صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب– رضي الله عنه– أن يكتب (هذا ماكاتب عليه محمد رسول الله .فقالوا : لاتكتب رسول الله فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك ، فقال النبي صلى الله عليسه وسلم لعلي " امحه" ، فقال عليّ : ما أنا بالذي أمحاه ، فمحاها النبي صلى الله عليه وسلم بيده) (٥)

.....

(١) التحرير والتنوير (١٠ / ١٢٧) (٢) اخرجه البخاري ، باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في زوج بريرة ، الحديث برقم (٥٢٨٣) (٣) فتح الباري ،كتاب الطلاق (٩ / ٤٠٧) (٤) التمهيد (٣ / ٥٠) (٥) انظر صحيح مسلم (١٧٨٣)

بوب البخاري – رحمه الله – في صحيحه (باب قول الله تعالى : {أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ } [النساء : ٥٩]. ثم ذكر حديث أبي هريرة –رضي الله عنه – أن رسول الله صى الله عليه وسلم قال : (من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله)(١). قال ابن حجر – رحمه الله – تعليقا على هذا الحديث : (هَذِهِ الْجُمْلَة مُنْتَزَعَة مِنْ قَوْله تَعَالَى: (مَنْ يُطِعْ الرَّسُول فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه) أَيْ لِأَنِّي لَا آمُر إِلَّا بِمَا أَمَرَ اللَّه بِهِ ، فَمَنْ فَعَلَ مَا آمُرُهُ بِهِ فَإِنَّمَا أَطَاعَ مَنْ أَمَرَنِي أَنْ آمُرَهُ ، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون الْمَعْنَى لِأَنَّ اللَّه أَمَرَ بِطَاعَتِي فَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ أَمْر اللَّه لَهُ بِطَاعَتِي ، وَفِي الْمَعْصِيَة كَذَلِكَ . وَالطَّاعَة هِيَ الْإِتْيَان بِالْمَأْمُورِ بِهِ وَالِانْتِهَاء عَنْ الْمَنْهِيّ عَنْهُ ، وَالْعِصْيَان بِخِلَافِهِ .) (٢). قال ابن حجر – رحمه الله – : (والنكتة في إعادة العامل في الرسول دون أولي الأمر مع أن المطاع في الحقيقة هو الله تعالى كون الذي يعرف به ما يقع به التكليف هما القرآن والسنة ، فكأن التقدير أطيعوا الله فيما نص عليكم في القرآن ، وأطيعوا الرسول فيما بين لكم من القرآن وما ينصه عليكم من السنة . أو المعنى أطيعوا الله فيما يأمركم به من الوحي المتعبد بتلاوته ، وأطيعوا الرسول [ص: ١٢٠] فيما يأمركم به من الوحي الذي ليس بقرآن . ومن بديع الجواب قول بعض التابعين لبعض الأمراء من بني أمية لما قال له : أليس الله أمركم أن تطيعونا في قوله وأولي الأمر منكم فقال له : أليس قد نزعت عنكم – يعني الطاعة – إذا خالفتم الحق بقوله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله. قال الطيبي : أعاد الفعل في قوله وأطيعوا الرسول إشارة إلى استقلال الرسول بالطاعة ، ولم يعده في أولي الأمر إشارة إلى أنه يوجد فيهم من لا تجب طاعته . ثم بين ذلك بقوله فإن تنازعتم في شيء كأنه قيل فإن لم يعملوا با لحق فلا تطيعوهم و ردوا ما تخالفتم فيه إلى حكم الله ورسوله)(٣).

بوب مسلم – رحمه الله – في صحيحة (باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية وتحريمها في المعصية) ثم ذكر الأحاديث التي تدل على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم و أنها من طاعة الله و طاعة من تولى أمر المسلمين .

ثم جاء التحذير من الله – تبارك وتعالى – من فعل ما أمر بتركه أو ترك ما أمر بفعله. و هذا يشمل جميع الأوامر والنواهي . فمن أطاع الله و رسوله فله، ومن عصى فقد أضر نفسه و لن يضر الله أو رسوله شيئا . قال تعالى :{وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٩٧] وقال تعالى في الحديث القدسي : (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) (٤).

.....

(١) اخرجه البخاري في كتاب الاحكام برقم (٧١٣٧) (٢) فتح الباري (١٣ / ١١٢) (٣) فتح الباري (١٣ / ١١١) (٤) رواه ابو ذر – رضي الله عنه – عند مسلم رقم (٢٥٧٧)

أما الرسول صلى الله عليه وسلم فتكفي هذه الآية في أنه لن تضره معصية من عصى { فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ } فتنتهي مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ الرسالة بوضوح للناس وليس عليه هداية الناس هداية توفيق{فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} [الرعد :٤٠] و لو كان صلى الله عليه وسلم يستطيع ذلك لهدى عمه أبا طالب الذي كان يحبه وحاول صلى الله عليه وسلم جاهدا حتى آخر لحظة في حياة أبي طالب و الرسول صلى الله عليه وسلم يحاول تلقينه الشهادة و هو يقول ياعم :(قل كلمة احاجج لك بها عند الله يوم القيامة) فكان آخر ما قال :(هو على ملة عبد المطلب). قال تعالى : {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [القصص : ٥٦]. وللنبي صلى الله عليه وسلم شفاعة خاصة يوم القيامة في عمه عبد طالب في أن يخفف الله عنه العذاب كما ورد عند مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال:(لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه ، يغلي منه دماغه)(١).

من فوائد الآية :

١- وجوب طاعة الله والرسول، لقوله تعالى : {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} بصيغة الأمر. والأمر يقتضي الوجوب مالم يصرفه صارف .ولأن التحذير لايكون الا من أمر محظور .

٢- أن من أطاع الرسول فقد أطاع الله و العكس بالعكس .

٣- الحث على طاعة الله و رسوله .

٤- النهي عن معصية الله و رسولة بمفهوم المخالفة .

٥- استحالة تعارض قول الرسول مع قول الله تعالى لأن الله – تبارك وتعالى – جعل طاعة الرسول تبعا لطاعة الله .

٦- تشريف النبي صلى الله عليه وسلم لكون طاعته طاعة لله واضافته اضافة تشريف في قوله تعالى :{رَسُولِنَا}

٧- أن السنة – أقوال النبي و أفعاله – مكملة للقرآن يجب الأخذ بما صح منها .

٨- أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يأمر بمعصية الله، لأن الله أعاد فعل الأمر بقوله :{ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} بخلاف قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَآمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ:} [النساء : ٥٩] فأعاد الله تعالى فعل الأمر هنا مع الرسول و لم يعده مع ولي الأمر لأن ولي الأمر قد يأمر بمعصية الله .

.....

(١) الحديث برقم (٢١٠

٩ – التحذير الشديد من معصية الله و رسوله. لقوله :{وَاحْذَرُوا} لتضمينها تهديدا وتخويفا و وعيدا .

١٠ – أن عصيان العاصي لن يضر الرسول شيئا. لقوله :{ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ} فالرسول صلى الله عليه وسلم تنتهي مسؤليته بتبليغ الرسالة .

١١ – ينبغي على الداعية عدم الضيق و الانزعاج اذا لم يستجب له من دعاه لأنه مسؤل عن تبليغ دين الله وليس مسؤلا عن هداية من دعاه .

١٢ – أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة بلاغا واضحا ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك لقوله :{الْبَلاَغُ الْمُبِينُ } والمبين معناه الواضح الذي لالبس فيه .

الآية الثانية عشرة

قوله تعالى :{يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ} [التوبة ك ٦٤]

وردت هذه الآية في سورة (التوبة) وتسمى (الفاضحة) لأنها فضحت المنافقين و أظهرت كل مايخفون عن النبي صلى الله عليه وسلم . أخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير قال: (قلت لابن عباس سورة التوبة؟ قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها. قال: قلت سورة الأنفال؟ قال نزلت في بدر قال: قلت سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النضير)(١).

وسورة التوبة آخر مانزل من القرآن لما أخرجه البخاري في صحيحه (عن أبي اسحاق ، قال : سمعت البراء- رضي الله عنه- يقول : آخر آية نزلت : {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ} [النساء : ١٧٦]. وآخر سورة نزلت براءة)(٢).وهذه السورة أوضحت الطريق وبينت ملامح العلاقة بين المسلمين والمنافقين .

جاءت هذه الآية بعد أن بين الله كثيرا من صفات المنافقين وفضحهم على رؤوس الأشهادحتى يحذر المسلمون منهم . فبين الله تعالى أنهم يحادون الله و رسوله {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ} [التوبة :٦٣ .]و أنهم جبناء يحلفون الايمان الكاذبة ليرضوا المؤمنين فهم لايستطيعون اظهار نفاقهم خوفا على دمائهم و أموالهم{يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ} [التوبة : ٦٢] وأنهم يتهمون الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه (أذن) يقصدون يصدق كل شي يقال له {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ } [التوبة : ٦١] و هذا يتضمن ادعاء باطلا في حقه صلى الله عليه وسلم وأنه لايفرق بين الحق والباطل .و في هذا قدح في عقل النبي صلى الله عليه وسلم. ثم ذكر أن المنافقين يعيبون النبي صلى الله عليه وسلم في الصدقات و لا يرضون بما قسمه الرسول صلى الله عليه وسلم لهم { وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ } [لتوبة : ٥٨]

ثم يفضح الله تعالى خوفهم وخورهم وجبنهم و أنهم لو يجدون مكانا يلجؤون اليه لذهبوا بأسرع مايستطيعون هربا من المؤمنين لأنهم لايريدون مخالطتهم ولايحبونهم و يعيشون ضد رغبتهم{ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُون} [التوبة : ٥٧]. ويحلفون أنهم من المؤمنين و هم ليسوا كذلك. فهم كاذبون فيحلفون أنهم من المؤمنين خوفا على دمائهم و أموالهم من المسلمين وتحقيقا لمصالحهم الشخصية التي أظهرها الله بالوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ولعباده المؤمنين{وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ} [التوبة : ٥٦]. ثم ذكر تعالى نه لايقبل صدقاتهم لأنهم لاينفقونها خالصة لوجه الله فقهم ينفقونها رياء وسمعه ، يخفون نفاقهم ورائها ويظهرون بمظهر المؤمن وهم ليسوا كذلك،فهم لايرجون من الله ثوابا و لايعتقدون وجوبها عليهم { قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًاأَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِه} [التوبة : 53- 54]

.....

(١) **الحديث برقم (٤٨٨٢)** (٢) **الحديث برقم (٤٦٥٤)**

ثم ذكر تعالى حالهم مع العبادة كالصلاة فهم لا يقومون للصلاة الا بتثاقل وكسل لأنهم لايرجون من وراء الصلاة ثوابا و لا يقصدون بها امتثال أمر الله بأدائها فهي ثقيلة على قلوبهم {وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى} [التوبة : ٥٤].وفي آية أخرى{وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى} [النساء : ١٤٢]. ثم ذكر تعالى أنهم من خبثهم يتربصون بالمسلمين الدوائر ويتمنون الضرر للمسلمين والقضاء عليهم حتى يضعفوا فيستطيعوا حينئذ اظهار كفرهم دون خوف، والاحتفاظ بأموالهم فلا ينفقوا منها شيئا و التخلي عن العبادات كالصلاة فلا يصلوا لأنها تثقل كواهلهم .{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ} [التوبة : ٥٢ .]بعد ذكر كل هذه الصفات، ذكر تعالى في هذه الآية ان المنافقين يخافون أن ينزل الله عل المؤمنين آيات تكشف كل ما يخفون من سرائرهم للرسول و المؤمنين فيفتضح أمرهم ويظهر كفرهم فتحل أموالهم ودماؤهم اذا أصروا على الكفر.قال السعدي – رحمه الله – : (إلا أنه لم يعين أشخاصهم لفائدتين: إحداهما: أن الله سِتِّيرٌ يحب الستر على عباده.والثانية: أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم إلي يوم القيامة، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب، حتى خافوا غاية الخوف)(١). أخرج البخاري في صحيحه عن ابن أبي مليكه قال : (أدركت ثلاثين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه)(٢) , وترجم له البخاري (خوف المؤمن أن يحبط عمله و هو لايدري).وكان حذر المنافقين من نزول سور تفضح مايخفون في قلوبهم من باب الاستهزاء لقوله تعالى في سياق الآية : {قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ } فكان استهزاؤهم بالله ورسوله جزء من نفاقهم حتى تم كشف كل ماكانوا يخفون في قلوبهم .وقوله تعالى :{قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ} فيها توعد لهم بأن يفضحهم للرسول وللمؤمنين وقد حصل فذكر أن من صفاتهم نقض العهد اذا قطعوه .قال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } [التوبة: ٧٥-٧٧] وأنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [التوبة:٦٧] والاعراض عن الحق {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ} [التوبة:١٢٧]وأنهم يحلفون الأيمان الفاجرة {يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } [التوبة: ٩٥-٩٦] وأنهم لايتأثرون بالقرآن لأن قلوبهم خاوية من الايمان. ولا تتأثر به عقولهم لأنها عميت بالكفر فلا تبصر حقا فكلام الله لا يلامس مراكز الاحساس عندهم {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: ١٢٤-١٢٥] فالله تعالى قد حقق وعده وأخرج كل ماكانوا يحذرون منه من خوف ولمز وتقاعس عن الجهاد و القيام الى الصلاة بتثاقل ودفع الأموال و هم لايرغبون وعدم تأثرهم بالقرآن و رغبتهم بالعيش بعيدا عن المسلمين لأنهم لا يحبونهم .و المقصود من فضحهم تحذير المؤمنين في التعامل معهم واظهار صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه صلى الله عليه وسلم انما علم كل مافي قلوبهم عن طريق الوح. ولا سبيل الى معرفة كل مايخفون الا بالوحي .

.....

(١) تفسير السعدي (ص ٣٥٧) **(٢) الحديث برقم (٣٧)**

من فوائد الآية :

١- النفاق يسبب قلقا في القلب، و أن المنافقين لا يعيشون حياة مطمئنة لأنهم كانوا يخافون من فضح الله لهم وهكذا حال المنافق دائما يعيش في خوف وقلق خوفا من افتضاح أمره . وعكسهم المؤمنون المطمئنة قلوبهم {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [الرعد : ٢٨]

٢- خوف وجبن المنافقين لأنهم لم يستطيعوا اظهار أمرهم الحقيقي علنا .

٣- حماية الله للرسول و المؤمنين حيث فضح أمرهم للحذر منهم .

٤- خسارة المنافق الدنيا و الآخرة لأنهم انفقوا أموالهم و صلوا بدون ثواب في الدنيا و لا جنة في الآخرة فخسروا الدارين .

٥- خطورة المنافقين على المجتمع الاسلامي .

٦- أهمية سلامة القلب لأنهم انما وقعوا في النفاق بسبب ضلال وزيغ قلوبهم .

٧- أن الحق دائما ينتصر في النهايه، و هذه سنة الله في خلقه وعبرة من عبر التاريخ {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} [الانبياء :١٨]

٨- اثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه (الرسول) عرف كل مافي قلوبهم عن طريق الوحي .

٩- أن العاصي قد تعجل له العقوبة في الدنيا كما حصل لهؤلاء المنافقين من فضح واجلاء من المدينة و في الآخرة عقوبتهم في الدرك الأسفل من النار كما في قوله تعالى :{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا } [النساء : ١٤٥]

الآية الثالثة عشرة

{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة :١٢٢]

بعد أن عاتب الله تعالى قبائل المدينة و من حولهم من الأعراب المجاورين لهم عن التخلف عن الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم و ذكر تعالى الأجر العظيم للذين يجاهدون في سبيله وأنهم لايصيبهم عطش ولا تعب ولا جوع ولا يطؤن مكانا يرعب عدوهم و لاينالون من عدو نيلا بالنصر عليهم الا أثابهم الله الثواب الجزيل و الله لايضيع أجر المحسنين ، فاعقب ذلك سبحانه وتعالى ذكر فضل الانفاق في سبيله كثيرا كان أو قليلا كما فعل عثمان بن عفان وغيره من الصحابة ممن أنفقوا أموالهم في تجهيز الجيش الاسلامي الذي نشر دين الله و أنهم لا يقطعون واديا بالسير الا أجزل الله تعالى لهم المثوبة .

ثم شرع تعالى في هذه الآية ذكر ما يجب على المؤمنين في حال الجهاد فيما يخص الخروج. فذكر تعالى أنه في حال النفرة ،الواجب خروج البعض من القبائل و البلدان لحصول المقصود ، لن خروج الجميع يفوت به مصالح العباد ، وبقاء آخرين حتى يتعلموا أمور دينهم فيبلغوه للذين خرجوا اذا عادوا من الجهاد، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل الوحي ينزل عليه فيحتاج من يحفظ عنه و يدون ما ينزل به الوحي فيبلغوه للآخرين اذا رجعوا من الجهاد .

قوله تعالى : {لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِوَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } قال القرطبي – رحمه الله – : (هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم)(١) . هذه الآية الكريمة تحتمل معنين :

١- ليتفقه في الدين الطائفة الباقية بما تسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحكام الشرعية،لأن الوحي لم يزل ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم.ومن بقي مع الرسول صلى الله عليه وسلم يحفظ ويدون ماعرفوا من أحكام الشرع ولم تعرفها الطائفة النافرة فاذا رجعت الطائفة النافرة أخبرتهم الطائفة الباقية ماعلموا من أمور الشرع فيحذرون من الوقوع في معصية الله .

٢- لتتفقه الطائفة النافرة بما رأت من نصر الله على القوم الكافرين، وكيف نصر الله القوم القليل بالعدد و العتاد على من فاقهم عددا و عدة وأن الله يؤيد عباده المؤمنين على من كفر به . يدل لهذا قوله تعالى :{كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة :٢٤٩] فيحذرون الطائفة الباقية من مخالفة أمر الله حتى لايصيبهم ما أصاب هؤلاء الذين قاتلوهم من العذاب وأخزاهم الله على أيديهم .

.....

(١) تفسير القرطبي (5 /٣١٣٢)

واذا كان معنى الآية يحتمل معنيين أو اكثر و لاتنافي بين المعنيين فتحمل على المعنيين ، وهذه قاعدة مفيدة في علم التفسير . وعلى كلا المعنيين ، يجب الحذر من مخالفة أمر الله كالكفر والشرك و النفاق حتى لا يحل على من خالف أمره العذاب كما حل على غيرهم ممن عصوه تعالى .

من فوائد الآية :

١- مراعاة جميع المصالح و عدم تحقيق مصلحة على حساب تفويت أخرى ،لأنه لو نفر الجميع لفاتت تحقيق مصلحة تحصيل العلم .

٢- فضيلة الجهاد في سبيل الله تعالى .

٣- فضيلة الفقه في الدين. و فضل العلم و العالم معروف .

٤- فضيلة تعليم العلم للآخرين وعدم الاستئثار به للنفس لقوله :{ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }

٥- أن العلم يساوي الجهاد في سبيل الله في المنزلة والفضل لأن الله تعالى لم يأمر الجميع بالنفور بل أمر البعض بالنفور و البعض الآخر بالتفقه في دين الله و تحصيل العلم الشرعي لأن الله لايأمر عباده الا بالأفضل.

٦- من كان بالله أعلم ،كان منه أخوف .لأن الغاية من تحصيل العلم هي الخوف و الحذر من عقاب الله لقوله تعالى في سياق الآية الكريمة :{وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } فعلل الله تعالى التفقه بالحذر من عقاب الله .ويدل لهذا قوله تعالى : {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء } [فاطر : ٣٠]

٧- أهمية النية في اقامة دين الله لأنه وان اختلف العمل مابين مجاهد في سبيل الله ومحصل للعلم الشرعي فان كل تلك الأعمال المقصود منها اقامة الدين، فالدين يقوم بالعلم و بالجهاد .

الآية الرابعة عشرة

قال تعالى : {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورا} [الاسراء : ٥٧]

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير (عن عبد الله – رضي الله عنه– في هذه الآية {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ } قال : ناس من الجن يعبدون فاسلموا)(١). و أخرج مسلم في صحيحه (عن عبد الله رضي الله عنه :{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ } قال :كان نفر من الانس يعبدون نفرا من الجن فأسلم النفر من الجن و استمسك الانس بعبادتهم فنزلت :{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ }٢).

جاءت في سياق تقرير التوحيد وأنه يجب صرف العبادة كلها لله وحده دون أي شريك من الجن أو غيرهم .

يقول جل ثناؤه:ان هؤلاء الذين يعبدونهم من دون الله هم أنفسهم يعبدون الله فكيف يعبدون من لايملك لنفسه ولا لغيره ضرا ولا نفعا ؟ فالواجب عليهم صرف العبادة لله وحدة دون غيره من الشركاء فهو وحده تعالى المستحق لصرف كل أنواع العبادة .

وفي الآية توبيخ شديد من الله تعالى لمن أشرك في عبادة الله تعالى أو صرف شيئا من العبادة لغير الله تعالى فالعبادة يجب أن تصرف لله وحده لأنه — تعالى — المستحق لها فهو تعالى الذي يملك الضر والنفع ويستطيع صرفهما لمن يشاء في كل زمان ومكان .

ثم ذكر تعالى أن هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله هم أنفسهم يتقربون الى الله بكل مايستطعون من أنواع القرب الفعلية والقولية.وهذا هو الواجب على من أشرك بالله تعالى.

قوله تعالى : {وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} فهؤلاء المعبودون من دون الله يرجوون رحمة الله بدخول جنته ومغفرة ذنوبهم وثوابه بمضاعفة حسناتهم فيتقربون اليه بالطاعات فيرجون رحمته لأنها وسعت كل شيئ {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً } [غافر : ٧] {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } [الاعراف : ١٥٦ ولأنها سبقت غضبه ، أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ان الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه :ان رحمتي سبقت غضبي) (٣)

.....

(١) الحديث برقم (٤٧١٥) (٢) الحديث برقم (٣٠٣٠) (٣) الحديث برقم (٤٧٢٢)

ويخافون عذابه باجتناب مانهى عنه و حذر ليقوا انفسهم الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة فلا يحل بهم ماحل بالأمم التي كانت قبلهم ممن عصوا الله تعالى .{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ *جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ } [ابراهيم : ٢٨ – ٢٩] { وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ} [الرعد : ٢١] {يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} [النور : ٣٧] وهم يخشون عذابه لأن عذابه شديد {وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [البقرة : ١٩٦] {وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [المائدة :٢] وشدة البطش تكون بقوة ا الباطش{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}[البروج : ١٢]وهم بهذا جمعوا بين الخوف والرجاء فبالرجاء تكون زيادة الطاعات والرغبة في القربات لله تعالى ، وبالخوف يكون البعد عن المحظورات و اجتناب المنهيات فلا بد من اجتماعهما لأنه بالرجاء وحده دون خوف أو رادع يكون ارتكاب المحرمات قريبا من القلب فتأتيه الجوارح، و بالخوف وحده دون رجاء يسكن اليأس في القلب فلا يطمع في ثواب .فكان من رحمة الله وحكمته أن جعل توازنا بين الأمرين حتى يستقيم حال عباده الصالحين . ولهذا نظائر في القرآن منها قوله تعالى :{ اعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [المائدة : ٩٨]

وقوله تعالى :{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } [الانبياء : ٩٠]

{يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} [السجدة : ١٦] {وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ } [الاعراف :٥٦]

بوب البخاري – رحمه الله – في صحيحه (باب الخوف مع الرجاء) .قال ابن حجر – رحمه الله – : (أي استحباب ذلك فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف و لا في الخوف عن الرجاء لئلا يفضي في الأول إلى المكر وفي الثاني إلى القنوط وكل منهما مذموم والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها وأما من انهمك على المعصية راجيا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي : من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل ومن علامة الشقاء أن تعصي وترجو أن تنجو) (١) قال ابن القيم رحمه الله : (أجمع العارفون أن الرجاء لايصح الا مع العمل) (٢) ثم ذكر – رحمه الله – الفرق بين التمني والرجاء فقال: (التمني يكون مع الكسل و الرجاء يكون مع بذل الجهد).قال ابن سعدي – رحمه الله– :(وهذه الأمور الثلاثة الخوف والرجاء والمحبة التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده هي الأصل و المادة في كل خير.فمن تمت له، تمت له أموره وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور. وعلامة المحبة ما ذكره الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله والنصح فيها وإيقاعها على أكمل الوجوه المقدور عليها، فمن زعم أنه يحب الله بغير ذلك فهو كاذب)(٣).قوله تعالى :{ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } يتقون عذاب الله بالامتناع عن ارتكاب ماحرم وفعل ما أمر ، و وجب اتقاء العذاب لأنه يوجب غضب الله و عذابه الشديد الذي لا طاقة لهم به و لايستطيعون تحمله وسبق سوق الآيات التي تدل على شدة عذاب الله لمن عصاه .

.....

(١) فتح الباري (١٣ / ٧٧٨٢) (٢) الضوء المنير على التفسير (٤ / ١٠٧) (٣) تفسير ابن سعدي (ص١٤٩)

قوله تعالى :{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } فيه معنى التهديد و الوعيد و التحذير من ارتكاب ماحرم أو ترك ما أ وجب.

من فوائد الآية :

١- توبيخ و ذم من أشرك بالله في العبادة .
٢- ضعف كل مخلوق فلا يستحق العبادة الا الله تعالى .
٣- الثناء على عباد الله الصالحين .
٤- الجمع بين الخوف والرجاء في العبادة
٥- التخذير من عذاب الله وكل سبب يفضي اليه .

الآية الخامسة عشرة

قال تعالى :{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور :٦٣]

بعد أن بين الله تعالى للمؤمنين آداب التعامل مع النبي صلى الله عليه وسلم كآداب وجوب مناداته بالرسول أو النبي و ليس(محمد). لأنه يجب توقيره واجلاله وتعظيمه فالرسول صله الله عليه وسلم ليس رجلا عاديا فهو رسول الله المؤيد بالوحي المبلغ عن الله تعالى الذي خصه الله تعالى بخصائص كثيرة من دون المؤمنين كوجوب قطع الصلاة فيما لونادى الرسول شخصا وجواز نكاحه صلى الله عليه وسلم أكثر من أربع وبدون مهر أو شهود وهناك خصائص أخرى مبسوطة في كتب السير وغيرها وليس هذا موضع بسطها .

حذر تعالى أشد الحذر من مخالفة امره أو أمر رسوله لأنهما شئ واحد فمن خالف أمر الرسول فقد خالف أمر الله والعكس بالعكس . قال تعالى :{مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا } [النساء : ٨٠]. وفي موضع آخر من القرآن بين جزاء من يعصي الله ورسوله {وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ {جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الجن : ٢٣] وقوله تعالى :{وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ } [النساء : ١٤] وقوله تبارك وتعالى :{وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} الاحزاب:٦٣] فبين تعالى في هذه الآيات أن طاعة الرسول من طاعة اللة ومعصية الرسول من معصية الله لأنه صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله تبارك وتعالى .ثم بين تعالى العقوبة الشديدة المترتبة على مخالفة أمر الله وجزيل ثواب من أطاع الله .قال تعالى :{وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[الأحزاب :٧١] وفي موضع آخر {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[النساء : ١٣]{ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء : ٦٩] {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور : ٥٢] {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} [الفتح : ١٧] .

ومخالفة أمر الله أو أمر رسوله صلى الله عليه وسلم تكون بفعل مانهى الله أو رسوله عنه أو ترك ما أ وجب الله أو رسوله و لو كان صغيرا ففعل الصغيرة يفضي الى الكبيرة. والاصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة .في صحيح مسلم (أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال :كل بيمينك قال : لا أستطيع قال لا استطعت ما منعه إلا الكبر قال: فما رفعها إلى فيه) (١). فهذا مما عجلت له العقوبة في الدنيا بمخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم .

.....

(١) الحديث برقم (٢٠٢١)

ومخالفة أمر الرسول الله عليه وسلم في يوم أحد كان سبب هزيمة المسليمن لما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم جيش الرماة بالبقاء على جبل أحد و عدم النزول من الجبل. فلما ظهر لجيش الرماة أن جيش المشركين انهزم استعجلوا فنزل بعضهم. وكان خالد بن الوليد – رضي الله عنه – قائدا عسكريا محنكا. استغل نزول جيش الرماة فالتف من وراء الجبل وقتل من المسليمن سبعين صحابيا بسبب مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم .وبوب البخاري- رحمه الله- في صحيحه (باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه). ثم ذكر قوله تعالى :{وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الانفال : ٤٦] . ثم ساق الحديث الذي فيه بيان هزيمة المسلمين بمخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: عن البراء بن عازب – رضي الله عنهما- يحدث قال: (جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم أحد و كانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير فقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمنا القوم و أوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم فهزموهم قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فأصابوا منا سبعين و كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلا فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد ؟ ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه. ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ ثلاث مرات ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثلاث مرات. ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال: كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال إنكم ستجدون في القوم مثلةلم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز أعل هبل أعل هبل قال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا تجيبوا له قالوا يا رسول الله: ما نقول؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل. قال : إن لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا تجيبوا له! قال: قالوا يا رسول الله: ما نقول. قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم) (١). فحصلت الهزيمة بمخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وبمخالفة أمر من أمره الرسول وهو عبد الله بن جبير- رضي الله عنه- .

قال ابن حجر – رحمه الله – تعليقا على مخالفة الرماة أمر النبي صلى الله عليه وسلم : (وفيه شؤم ارتكاب النهي ، وأنه يعم ضرره من لم يقع منه ، كما قال تعالى : {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة } وأن من آثر دنياه أضر بأمر آخرته ولم تحصل له دنياه . واستفيد من هذه الكائنة أخذ الصحابة الحذر من العود إلى مثلها ، والمبالغة في الطاعة ، و التحرز من العدو الذين كانوا يظهرون أنهم منهم وليسوا منهم ، وإلى ذلك أشار سبحانه وتعالى في سورة آل عمران أيضا { وتلك الأيام نداولها بين الناس} إلى أن قال : {وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين } ، وقال : { ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب}) (٢)

.....

(١) الحديث برقم (٣٠٣٩) (٢) فتح الباري (٧ / ٣٥٣)

وفيهم نزل قوله تعالى :{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [ال عمران : ١٥٢ – ١٥٣].

ولمخالفة أمر الله ورسوله آثار سيئة. منها الذل والهوان فان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ } [المنافقون : ٨]. وفي موضع آخر من القرآن {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا } [فاطر : ١٠] ومنها أنه يترتب على المخالفة الفشل والضعف {وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } [الانفال : ٤٦] فالتنازع فيه معنى المخالفة وعدم الاجتماع . والمخالفة تكون ناشئة عن أمراض القلب بالشهوات أو الشبهات و لا يحصل اتقاء الحذر الا بسلامة القلب و خلوه من أمراض الشهوات و الشبهات .فهما أصل كل فساد وضلال .

ومخالفة أمر الله و رسوله على نوعين :

١- مخالفون عن كره وهم الذين قال الله فيهم : {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } [محمد : ٩] . وفي آية أخرى{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} [محمد : ٢٨]

٢- مخالفة أمر الله ورسوله عن تهاون و كسل ، وهذا على خطر لكنه أخف من الأول .

قوله تعالى :{عَنْ أَمْرِهِ} الضمير يحتمل أن يكون عائدا على الله .و يحتمل على الرسول صل الله عليه وسلم والمعنى يحتمل الوجهين. واذا كان يحتمل الوجهين و لا تناقض بينهما، فانه يحمل عليهما. و هنا لاتناقض في أن يحمل على الوجهين. لأنه لا تناقض .وفي اعادة العامل (يصيبهم) اشارة الى أن من خالف أمر الله أو رسوله فانه قطعا سيصيبه ماتوعد الله به في الآية الكريمة، وهي الفتنة . و فسرها الامام أحمد – رحمه الله – بأنها الشرك أو العذاب الأليم في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما جميعا ،لأن الآية الكريمة لم تحدد، بل أطلقت فيحتمل الوجهين و لا تعارض بينهما ،لأن بعض العصاة قد تعجل له العقوبة في الدنيا فتصيبه وتدخر له عقوبة الآخرة وهذا قد يحصل أحيانا كما حصل لفرعون مصر عندما أغرقه الله {حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُون} [يونس ٩٠- ٩١ – ٩٢] وفي اعادة الفعل (تصيبهم) اشارة الى شدة ا الاهتمام بالتحذير عن المخالفة . قوله تعالى : (أو) لمنع الخلو ،فلا يخلو حال المخالف من هذين الأمرين وهما: الفتنة أو العذاب الذي يحصل به الألم .

من فوائد الآية :

١- التحذير من مخالفة أمر الله أو رسوله بفعل ما أمر أو ترك ما أوجب.

٢- رحمة الله بعبادة حيث حذرهم مما يكون سببا في عذابهم، فيتجنبوه فلا يحل بهم العذاب .

٣- الحث على طاعة الله و رسوله.

٤- طاعة الرسول من طاعة الله و العكس بالعكس.

٥- مخالفة أمر الله و رسوله سبب في الوقوع في الفتنة و العذاب .

٦- وقوع الفتنة أو العذاب قطعي على من خالف أمر الله . تؤخذ من (أو) المانعة للخلو .

٧- شمول التحذير جميع الخلق من مسلمين وغيرهم ، يؤخذ من استعمال الاسم الموصول (الذين) لأن الاسم الموصول يفيد العموم .

٨- مجيئ التحذير بصيغة الفعل المضارع (فليحذر) يفيد أن الأمر يشمل من نزلت فيهم ومن جاء بعدهم الى يوم القيامة ، لأن الفعل المضارع يفيد الاستمرار.

٩- من خالف أمر الله أو رسوله، فانه يخاف عليه أن يموت على النفاق أو الكفر أو الشرك

١٠ – شدة عذاب الله لوصفه بأنه أليم. وهذا يوجب غاية الحذر و الخوف من الوقوع في المعصية .

١١ – احتمال تعجيل عقوبة المخالف لقوله : {أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } فاطلقت الآية ولم تحدد زمن العذاب ان كان في الدنيا أو في الاخرة فيحتمل الجميع .

١٢ - شؤم الفتنة اذا وقعت بسبب المخالفة فقد يمتد شرها الى الغير . قال تعالى :{وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال : ٢٥] .وتقدم أن هزيمة المسلمين يوم أحد بسبب مخالفة البعض أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فشملت الهزيمة الجميع . وقيل في الأمثال (الخير يخص والشر يعم) .

١٣ –الحذر من الوقوع في معصية الله و رسوله يورث السلامة من الوقوع في الفتنة والعذاب الأليم وهذا من بركة طاعة الله و رسوله .

١٤ – شدة التحذير من المخالفة. لاعادة الفعل في قوله :{أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} و كان يمكن في غير القرآن أن يقال :(أو عذاب أليم) بحذف الفعل الثاني من (يصيب) لسبق ذكره .

١٥ – الرد على من قال: لا نأخذ الأمر الا من القرآن دون السنة لأن في قوله: (أمره) ان قلنا تعود على الرسول صلى الله عليه وسلم فالأمر واضح ، وان قلنا تعود على الله تعالى فطاعة الرسول من طاعة الله كما تقدم {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النساء : ٨٠] .

١٦ – اقامة الحجة على من خالف أمر الله أو رسوله بعد التحذير .{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} [الاسراء : ١٥]

ا لآية السادسة عشرة

قال تعالى : {وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ } [الشعراء : ٥٦]

قالها فرعون مصر عندما آمنت طائفة من بني اسرائيل دون علمه أو أذنه وخرجت مع موسى عليه السلام بأمر الله {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ} [الشعراء : ٥٢] وفي آية أخرى {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ } [طه : ٧٧ – ٧٨] .وكان أمر الله لموسى ومن آمن معه من بني اسرائيل أن يخرجوا ليلا حتى يسبقوا فرعون وجنوده الى البحر فكان وصول فرعون وجنوده بعدهم مع شروق الشمس{فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ } [الشعراء :٦٠] فاذا وصل فرعون وجنوده الى البحر بعدهم أطبقه الله عليهم فيغرقون وقد صدق الله وعده {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس : ٩٠ – ٩١] {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ} [الشعراء :٦٣ – ٦٤ –٦٥ –٦٦ - ٦٧] وفي آية أخرى {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ} [البقرة : ٥٠] وفي موضع آخر {فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} [الزخرف : ٥٥]فكان الماء من جند الله أغرق به الله تعالى فرعون و أنجى به موسى (١) .

كان الأمر بالخروج ليلا لأن فرعون سيلحق به هو و جنوده ليردوهم عن الايمان بالله أو قتلهم {فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ} [الشعراء :٥٣ – ٥٤ –٥٥].

قال فرعون : { وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ } يعني كلنا متيقظون ومتاهبون لمافعله موسى ومن معه من المؤمنين . قوله (لجميع) يعني كلنا كما في قوله تعالى :{فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا}[النساء : ٧١] يعني كلكم وقوله تعالى : {إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا } [النساء : ١٤٠] وقوله :{وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا } [المائدة : ٣٢] وهذا يشعر أن فرعون خائف و قلق من موسى ومن آمن معه لأن الحذر لا يكون الا من مخوف محقق . وقوله: (لجميع) يشمل فرعون نفسه لأنه أتى بضمير الجمع الذي يشمله (و انا) ثم أكده بقوله: (لجميع)

.....

(١) نشرت مجلة البحوث الاسلامية التي تصدرها الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء في عددها رقم (٩٨) بحثا للشيخ الدكتور محمد بن عبد الله السحيم بعنوان (الدلالات العقدية للماء في القران الكريم) توسع فضيلته في دلالات ذكر الماء في القران فليراجع .

كانت عقوبة فرعون معجلة في الدنيا قبل الآخرة {فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ } وعقوبته في الاخرة {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ} [هود :٩٨] وفي اية اخرى {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر :٤٠] وفي موضع آخر من القرآن :{وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ} [القصص : ٤٣] وبين تعالى في كتابه العزيز جزاء الذين آمنوا من بني اسرائيل وصبروا على عذاب فرعون بأن العاقبة كانت لهم {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ } [الاعراف : ١٣٧]

من فوائد الآية :

١- اجتماع أهل الباطل و ان اختلفت مشاربهم ضد من سار على الطريق المستقيم .

٢- عدم اطمئنان قلب الفاجر. لأن الحذر يتولد عنه القلق و الخوف من أن يصيبه ما يخافه .

٣- التحذير من الظلم و عواقبه. لأن فرعون كان حذرا و قلقا بظلمه .

الآية السابعة عشرة

قال تعالى :{وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ }[القصص: ٦]

جاءت هذه الآية في بداية سورة القصص التي بسط الله تعالى فيها قصة فرعون مع موسى عليه السلام بعد أن أخبر تعالى عن فرعون أنه علا و تجبر و طغى في الارض و ذبح كثيرا من الأطفال و استحيا النساء .ثم بين تعالى أنه بفضله و منه يريد أن يمكن لبني اسرائيل في الأرض وهي أرض مصر و الشام كما قال المفسرون .والتمكين في الأرض جعلهم مالكي الأرض لهم حق التصرف فيها كيفما شاؤا و التمكين فيه معنى القوة. وقد جاء التمكين في القرآن في كثير من المواضع . قال تعالى :{وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ} [الأعراف : ١٠] وفي موضع آخر { أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ} [الأنعام :٦,] وفي قصة يوسف{وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ } [يوسف : ٥٦] وفي موضع آخر من قصة يوسف{إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ } [يوسف : ٥٤]

قال ابن عاشور – رحمه الله –:(ومعنى مكناهم في الأرض ثبتناهم وملكناهم ، وأصله مشتق من المكان . فمعنى مكنه ومكن له ، وضع له مكانا . قال تعالى : أولم نمكن لهم حرما آمنا . ومثله قولهم : أرض له . ويكنى بالتمكين عن الإقدار وإطلاق التصرف ، لأن صاحب المكان يتصرف في مكانه وبيته ثم يطلق على التثبيت والتقوية والاستقلال بالأمر . ويقال : هو مكين بمعنى ممكن ، فعيل بمعنى مفعول . قال تعالى : إنك اليوم لدينا مكين أمين فهو كناية أيضا بمرتبة ثانية ، أو هو مجاز مرسل مرتب على المعنى الكنائي . والتمكين في الأرض تقوية التصرف في منافع الأرض والاستظهار بأسباب الدنيا ، بأن يكون في منعة من العدو وفي سعة في الرزق وفي حسن حال ، قال تعالى : إنا مكنا له في الأرض ، وقال : الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة الآية . فمعنى مكنه : جعله متمكنا)(١).

ويرى فرعون و وزيره هامان و جنودهما الشئ الذي كانوا يحذرون من وقوعه و هو هلاكهم و زوال ملكهم بسبب مولود يولد في بني اسرائيل و هو موسى عليه السلام .و لذلك كان يذبح أطفال بني اسرائيل خوفا من هذا الطفل الذي سيذهب بملكه ويكون هلاكه بسببه ويستحيي نسائهم يعني يبقي على حياتهن.فكان من حكمة الله تعالى أن جعل مايحذر و يتحرز منه و هو الطفل الذي سيذهب بملكه يتربى في بيته و يأكل من طعامه.قال تعالى حكاية عن فرعون مخاطبا موسى عليه السلام :{ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ } [الشعراء : ١٨]

.....

(١) التحرير والتنوير (٧ / ١٣٧ – ١٣٨)

قال ابن كثير – رحمه الله – :(أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى ، فما نفعه ذلك مع قدر الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدري ، بل نفذ حكمه وجرى قلمه في القدم بأن يكون إهلاك فرعون على يديه ، بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده ، وقتلت بسببه ألوفا من الولدان إنما منشؤه ومرباه على فراشك ، وفي دارك ، وغذاؤه

من طعامك ، وأنت تربيه وتدلله وتتفداه ، وحتفك ، وهلاكك وهلاك جنودك على يديه ، لتعلم أن رب السموات العلا هو القادر الغالب العظيم ، العزيز القوي الشديد المحال ، الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .) (١)

من فوائد الآية :

١-نصرة الله لعباده الصالحين من بني سرائيل بالتمكين لهم في الأرض {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ} [الاعراف : ١٣٧]

٢-صدق وعد الله

٣-سوء عاقبة الطغاة و الظالمين

٤-التحذير من الظلم و الطغيان

٥-لاينفع حذر من قدر لكن لابد من الأخذ بالأسباب

٦-الطاعة مجلبة للخير مدفعة للشر

٧-الطغيان مجلبة للشر مدفعة للخير

.....

(١) تفسير ابن كثير (١٠ / ٤٤٢)

الآية الثامنة عشرة

قال تعالى :{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ } [الزمر :٩]

بعد أن بين الله تعالى بعض صفات الضالين الذين ينسون نعم الله في كشف كرباتهم ويجعلون لله شركاء ليضلوا عن سبيله وتهديد الله تعالى لهذا الصنف من الناس بأن متاعهم في الدنيا لن يطول و لن يستمر و في النهاية مصيره الى النار و سوء القرار.شرع عز وجل في هذه الآية في بيان الصنف المقابل للصنف الضال من الناس حتى يتبين الفرق بين الصنفين من العباد. فبين تعالى هنا أن هؤلاء ا المطيعين لله المصلين في ساعات الليل ساجدين أحيانا و قائمين أحيانا أخرى فهم بين عبادة السجود والقيام .قال ابن عاشور – رحمه الله – : (وتخصيص الليل بقنوتهم لأن العبادة بالليل أعون على تمحض القلب لذكر الله ، وأبعد عن مداخلة الرياء وأدل على إيثار عبادة الله على حظ النفس من الراحة والنوم ، فإن الليل أدعى إلى طلب الراحة فإذا آثر المرء العبادة فيه استنار قلبه بحب التقرب إلى الله قال تعالى : { إنّ ناشئة الليل هي أشدُ وطئاً وأقوم قِيلا } [المزمل : ٦] ، فلا جرم كان تخصيص الليل بالذكر دالاً على أن هذا القانت لا يخلو من السجود و القيام آناءَ النهار بدلالة فحوى الخطاب قال تعالى : { إن لك في النهار سبحاً } [المزمل:٧] ، وبذلك يتم انطباق هذه الصلة على حال النبي صلى الله عليه وسلم)(١) .

قد بين الله - جل ثناؤه - في مواضع كثيرة من القرآن أن القنوت من صفات عباده الصالحين . قال تعالى :{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [النحل : ١٢١] وقال عز وجل :{وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التحريم : ١٢] وفي موضع آخر {الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ} [ال عمران : ١٧]

وبين – جل ثناؤه – في مواضع من القرآن أن السجود والقيام من صفات عباد الله الصالحين. قال تعالى في سياق صفات عباد الرحمن :{وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} [الفرقان : ٦٤]

اذا ماالليل اظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
اطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأرض في الدنيا هجو
أنين تنفرج منها القلوب لهم تحت الظلام وهم ركوع

وهم مع عبادتهم لم يصبهم غرور ولم يضمنوا الجنة فهم يحذرون الآخرة وعذابها ومحاسبتهم وأن اعمالهم الصالحة لن تدخلهم الجنة الا برحمة الله تعالى. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لن يدخل احدا عمله الجنة قالوا. ولا انت يارسول الله ؟ قال ولا انا ، الا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت اما محسنا فلعله ان يزداد خيرا واما مسيئا فلعله أن يستعتب)(٢).فلو قابلوا كل أعمالهم الصالحة مع نعمة واحدة من نعم الله كنعمة البصر أو السمع أو الصحة أو غيرها لما كفت كل أعمالهم فلا غنى لهم عن أن يرجو رحمة الله لعلها تشملهم فيفوزوا برضوان الله وجنته فهم بذلك يعشيون بين الخوف والرجاء .

.....

(١) التحرير والتنوير (٢٣ / ٣٤٦) (٢) الحديث برقم (٥٣٧٦)

قال الشوكاني – رحمه الله – : (فيجمع بين الخوف والرجاء ومااجتمعا في قلب رجل الا فاز) (١). وقد فصل العلماء – رحمهم الله– الجمع بين الخوف والرجاء . قال النووي – رحمه الله – بعد أن بوب له : (اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً، ويكون خوفه ورجاؤه سواء، وفي حال المرض يمحض الرجاء. وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك.) (٢)

اخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد) (٣)

قال الامام أحمد – رحمه الله – : (ينبغي أن يعيش المسلم بين الخوف والرجاء فأيهما غلب على صاحبه هلك)

وقد تقدم الكلام على الجمع بين الخوف والرجاء فلا معنى لاعادته .(٤)

الجمع بين الخوف والرجاء بينه الله تعالى في مواضع كثيرة من القرآن. قال تعالى :{وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف : ٥٦] وقوله : {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} [السجدة : ١٦] وفي موضع آخر :{وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الاسراء : ٥٧]

وبين تعالى أن الضالين هم الذين لايرجون لقاء الله و لا ثوابه أو عقابة. قال تعالى ذاما من اتصف بهذا الوصف :{إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} [يونس : ٧] - 8 قال الطبري – رحمه الله – : (إن الذين لا يخافون لقاءَنا يوم القيامة، فهم لذلك مكذّبون بالثواب والعقاب،) (٥). ينشأ عن الخوف من عذاب الله الاقبال على الطاعات والبعد عن السيئات. والخائفون هم الذين ينتفعون بالقرآن وتتأثر به قلوبهم.قال تعالى :{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر : ٢٣] فخص الله تعالى الذين يخافون ربهم وعذابه بأنهم هم الذين تخاف قلوبهم من القرآن لما فيه من الوعيد، ومن علامات خوف الله تعالى ،عدم أمن عذابه ومكره {أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُون} [الاعراف : ٩٩] ومن علامات الخوف منه تعالى الخوف من عدم قبول أعمالهم مع اجتهادهم وورعهم وتقواهم(وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ* أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون : ٦٠ – ٦١] وتأمل كيف جازاهم ربهم تعالى على حسن نيتهم ومبادرتهم لفعل الخيرات فبشرهم الله تعالى بأنه كتبهم من السعداء لما علم في قلوبهم من تقبل طاعة الله والسبق في فعلها . قال الطبري – رحمه الله – : (و أولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله ابن عباس، من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها) (٦)

.....

(١) فتح القدير (٤ / ٥٦٨) (٢) رياض الصالحين (ص ١٥٧)(٣) الحديث برقم (٢٧٥٥)
(٤) انظر (ص ٣٨) (٥) تفسير الطبري (٦ / ٢٠١) (٦) تفسير الطبري (8 / ٢٩٩)

كان الحذر من عذاب الله من هدي النبي صلى الله عليه وسلم .قال تعالى حكاية عن المشركين وتعنتهم وطلبهم من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بقرآن آخر غير الذي يتلى عليهم فكان الرسول صلى الله عليه وسلم عبدا

مأمورا بتبليغ ما أوحي اليه و ليس له أن يغيره بمايتفق مع أهواء المشركين فكان عليه الصلاة والسلام يخاف أن عصى ربه عذابا عظيما يوم القيامة {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [يونس :١٥] وفي موضع آخر{وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} [هود : ٣] .أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله إذا كان يوم الريح أو الغيم عُرف ذلك في وجهه وأقبل وأدبر فإذا مَطرت سُرَّ به وذهب عنه ذلك، قالت عائشة: فسألته فقال: إني خشيت أن يكون عذاباً سُلط على أمتي) (١) . وجاء في صحيح مسلم عن ابن عمر قال :(مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم ثم زجر فأسرع حتى خلفها)(٢). قال النووي – رحمه الله – تعليقا على هذا الحديث : (وفيه الحث على المراقبة عند المرور بديار الظالمين ومواضع العذاب ومثله الاسراع في وادي محسر لأن اصحاب الفيل هلكوا هناك)(٣).

لم يستطع ابليس، وهو ألد أعداء الله و عباده الصاليحن ،اخفاء خوفه من عذاب الله تعالى{ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [الحشر : ١٦]. ولم يستطع اخفاء خوفه يوم بدر لما التقى الجيشان و نزلت الملائكة تحارب مع المؤمنين و كان ابليس يحارب مع المشركين في صورة سراقة بن مالك المدلجي من أشرا ف قبيلته و كان سبب تلبس ابليس بصورة سراقة لأن قريشا كان لها عداوة مع بني مدلج لقتلهم رجلا منهم فخافت قريش أن ياتيهم بنو مدلج من الخلف فكان من خبث ابليس أن طمأنهم حتى يقاتلوا ولايخافوا غيلة.ولذا قال :{وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ} [الانفال :٤٨] .وكان خوف ابليس من الله لما رأى الملائكة تقاتل مع المسلمين فخاف أن يصبه عذاب ان هو لم ينهزم ويولي الأدبار لأنه لا طاقة له بمحاربة الملائكة فلم يكن له الا الهرب قال تعالى : {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الانفال :٤٨]

.....

(١) الحديث برقم (٨٩٩) (٢) الحديث برقم (٢٩٨٠)

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦ / ٤٠٧)

لم يكن خوفه من الله حقيقيا لأنه حصلت له الغواية بعدأن عصى أمر ربه بالسجود لآدم عليه السلام فطرد من الجنة.قال تعالى : {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ المنظَرِينَ *

قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ } [الاعراف : ١٢-١٣ -١٤-١٥-١٦-١٧-١٨] فجعله تعالى من اهل الجحيم.

قال الرازي – رحمه الله – بعد أن ساق تخريجات العلماء على خوف ابليس : (ويحتمل عندي أن يكون خاف أن يحل به من الملائكة مادون الاهلاك من الأذى اذا لم يخف الاهلاك ثم ، اقول : كيف يؤخذ عليه كذبة واحدة وهو أفسق الفاسقين وأكفر الكافرين فلا عجب في كذبة واحدة وانما العجب في صدقه)(١). و قال تعالى في آية أخرى : {إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة : ٣٤] فحكم تعالى عليه أنه من الكافرين فلن ينفعه خوف مع الكفر .وجعل تعالى الخوف منه من لوازم الايمان به ، قال تعالى :{فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران : ١٧٥]

كان الحذر من عذاب الله من صفات أوا ئل خلق الله الصالحين . قال – عز وجل – حكاية عن أول جريمة قتل وقعت على وجه الأرض وذهب ضحيتها (هابيل) :{لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّيَ أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ *فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [المائدة : ٢٨ -٢٩ - ٣٠] فما منع هابيل من قتل أخيه الا خوفه من الله عز وجل فكان من الفائزين بخوفه من الله ، ومن لم يخف ربه خسر الدارين وهو بهذا اكتسب وزه ووزر كل قاتل لأنه سن سنة سيئه وكما ورد بذلك الحديث .

بين تعالى في مواضع كثيرة من القرآن أن رجاء رحمة الله من صفات عباده الصالحين. قال تعالى :{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيم} [البقرة : ١٢٢]
وفي موضع آخر{وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء : ١٠٤] فجمع تعالى بين الصنفين وهما عباده المؤمنون الذين يرجون منه تعالى المثوبة و الكافرون الذين لا يرجون شيئا لأن قلوبهم خاوية من الايمان فليس فيها مايدفعهم لفعل أي طاعة ولاينتظرون ثوابا .

.....

(١) اسئلة القران المجيد واجوبتها (ص ١٠٦)

من فوائد الآية :

١- القرآن مثاني لذكر صفات المؤمنين بعد صفات الضالين مباشرة .وهذا من بلاغة القرآن للمقارنة بين شيئين حتى يتضح الفرق.

٢- الحث على فعل الصفات الواردة في الآية و هي الصلاة في جوف الليل و رجاء رحمة الله والخوف من عذابه.

٣- الجمع بين الخوف والرجاء لخلق موازنة في الحياة فلا يطغى جانب على آخر .

٤- اثبات يوم القيامة .

٥- اثبات العقاب و الثواب يوم القيامة .

٦- فضل صلاة الليل.

٧- فضل السجود و القيام في الصلاة لقوله: (ساجدا و قائما).

٨- اخلاص من ذكرهم الله تعالى في الآية لصلاتهم ساعات الليل دون أن يراهمأاحد.

٩- الحث على الاخلاص في العبادة.

الآية التاسعة عشرة

قال تعالى :{هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ} [المنافقون : ٤]

جاءت هذه الآية في وصف المنافقين بعد أن أنزل الله تعالى سورة كاملة باسمهم تتلى الى يوم اليقامة بين فيها أنهم يقولون بألسنتهم خلاف ماتبطنه قلوبهم مؤكدين قولهم بمؤكدين وهما : (ان) و (اللام) المقترنة بخبرها {إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّه} [المنافقون : ١]. ثم فضحهم الله تعالى على رؤوس الأشهاد وبين أنهم كاذبون ليحذر النبي صلى الله عليه وسلم و المسلمون منهم {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} [المنافقون : ١]

جاء بعد ذلك أنهم جعلوا اظهارهم للايمان سبيلا يتقون به مايخافون منه كدفع الجزية أو اهدار دمائهم {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً } [المنافقون : ٢] . جاء عند مسلم من عن زيد بن أرقم يقول: (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله قال زهير: وهي قراءة من خفض حوله و قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل. فقال: كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى أنزل الله تصديقي(إذا جاءك المنافقون).قال :ثم دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم. قال: فلووا رءوسهم وقوله : (كأنهم خشب مسندة) وقال: كانوا رجالا أجمل شيء) (١).

فكان نتيجة نفاقهم أن طبع الله على قلوبهم فلا يعرفون مصلحة أنفسهم ولا يعرفون ماينفعهم ومايضرهم بسبب غشاوة الكفر التي على قلوبهم لأن الله تعالى علم أن قلوبهم غير قابلة للايمان و لم يسعوا في أسباب تحصيله {وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ } [الانفال : ٢٣] {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} [المنافقون :٣].بعد أن وصف الله مافي قلوبهم، اتبعه بوصف أبدانهم التي تعجب الناس {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ} [المنافقون :٤.] و أوضح عز وجل فصاحة قولهم وبلاغته وتاثيرة في مسامع الناس {وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ} [المنافقون : ٤]وفي آية أخرى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ } [البقرة : ٢٠٤]وبسبب عدم فهمهم وعدم انتفاعهم بما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم ،شبههم تعالى بالأخشاب المسندة الى الحائط التي لاتعتمد على نفسها فهم لايستطيعون الاعتماد على أنفسهم لأنهم منافقون فاعتمدوا على المؤمنين كالخشب المسندة التي لو وقفت وحدها سقطت، فلا بد أن تعتمد على شي حتى تتمكن من الوقوف فلابركة فيها لخلو قلوبهم من نور الايمان . وهم مع حسن أجسامهم وفصاحة ألسنتهم وحضورهم مجالس النبي صلى الله عليه وسلم يظنون أنهم المقصودون بكل صوت عال فيفتضح أمرهم ويظهر كذبهم ونفاقهم فهم ضعفاء تمكلهم القلق والخور بما في قلوبهم من النفاق .

.....

(١) الحديث برقم (٢٧٧٢)

كان رأس النفاق عبد الله بن ابي بن سلول يحضر مجالس النبي صلى الله عليه وسلم وكان جسيما أنيق المظهر فصيح اللسان فكان وصف الله للمنافقين أكمل وصف وأدقه فبين سبحانه وتعالى أوصافهم القلبية و البدينة وبلاغتهم وفصاحة ألسنتهم.ثم جاء المقصود من هذا الوصف الدقيق بقوله :{هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ} فكل ماجاء من الأوصاف الدقيقة لأجسامهم و أعمال قلوبهم وألسنتهم انما لأخذ الحذر والحيطة منهم لصعوبة الاحتراز منهم لأن كفرهم غير ظاهر بعكس الكافر الذي يظهر كفره وعداوته للمسلمين يكون الاحتراز منه سهلا .فمن أبطن الكفر كالمنافق فهو أشد خطرا على الاسلام والمسلمين ممن أظهر الكفر و لذا جعل الله تعالى عقوبة المنافق أشد عقوبة وهي الدرك الأسفل من النار {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا } [النساء : ١٤٥ .]

هذه الآية تدل على أن الكافرين فوق المنافقين في دركات النار، فالمنافقون أشد عذابا و أخبث نزلا لكونهم أخطر من الكفار على المسلمين في الدنيا فكان الجزاء مناسبا لهم يوم القيامة . قال ابن القيم – رحمه الله – : (انما كانت هذه الطبقة في الدرك الأسفل لغلظ كفرهم فانهم خالطوا المسلمين و عاشروهم و باشروا من أعلام الرسالة وشواهد الايمان مالم يباشره البعداء و وصل اليهم من المعرفة و صحته مالم يصل الى المنابذين بالعداوة فاذا كفروا مع هذه المعرفة والعلم كانوا أغلظ كفرا وأخبث قلوبا) (١) .

قال الرازي – رحمه الله : (المنافق و ان كان أحسن حالا في الظاهر من الكافر الا أنه عند الله في الآخرة أسوأ حالا منه لأنه شاركه في الكفر و زاد عليه الاستهزاء بالاسلام وأهله و المخادعة لله و المؤمنين) (٢). وتأمل قول الله تعالى في الكافرين :{صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} [البقرة : ١٧١] وقوله تعالى في المنافقين :{صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ[ ]}البقرة : ١٨] فوصف الله تعالى الكافرين بأنهم لم يعقلوا والمنافقين آمنوا ثم كفروا وعرفوا الحق ثم تجاهلوه عمدا و أبصروا الحق ثم صرفوا أنظارهم عنه بطوعهم وارادتهم و دخل الايمان قلوبهم فأخرجوه فاستحبوا الكفر على الايمان فشابهوا قوم ثمود {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[ ] فصلت : ١٧] فمن كان هذا وصفه استحق الدرك الأسفل من النار .بين تعالى في موضع آخر من القرآن أن المنافقين سيحرمون من النور يوم القيامة بعد أن يروا نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم فكان جزاؤهم من جنس عملهم فانهم لما رفضوا نور الايمان في قلوبهم في الدنيا عاقبهم الله تعالى بحرمانهم من النور يوم القيامة فلا نور لهم في الدارين.قال تعالى : {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الحديد :١٣ – ١٤ – ١٥]. قال ابن القيم – رحمه الله – : (وهذا أشد مايكون من الحسرة والبلاء أن يفتح للعبد طريق النجاة والفلاح حتى اذا ظن أنه ناج و رأى منازل السعداء اقتطع عنهم وضربت عليه الشقوة) (٣)

.....

(١) الضوء المنير على التفسير (٦ / ٦٩) **(٢) أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها (ص ٦٢ – ٦٣)**

(٣) الضوء المنير على التفسير (٦ /٦٩)

المنافقون أرادوا العزة من غير طريقها فقد كانت أحد أسباب نفاقهم أنهم أظهروا الايمان للمؤمنين للحصول على العزة و كانوا مع الكفار للبحث عن العزة أيضا فكانت هذه الطريقة الخاطئة في البحث عن العزة احدى أسباب اسقرارهم في الدرك الأسفل من النار لأنهم لم يأتوا العزة من بابها الحقيقي لأن العزة لله ورسوله والمؤمنين {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا} [النساء : ١٣٩] وفي موضع آخر من القرآن {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر : ١٠] فهم لم يأتوا البيوت من أبوابها.وقد قال الله تعالى : {وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا} [البقرة : ١٨٩] فالمنافقون لم يسلكوا الطريق الصحيح في الحصول على العزة التي كانوا يريدونها .

كان الصحابة – رضي الله عنهم- يخشون النفاق ، مع قوة ايمانهم واخلاصهم ، ففي صحيح مسلم عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة الأسيدي قال: و كان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة قال قلت : نافق حنظلة قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا. قال أبو بكر :فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما ذاك ؟ قلت يا رسول الله : نكون عندك تذكرنا بالنار و الجنة حتى كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا .فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات) (١). قال النووي – رحمه الله –:(قوله : (نافق حنظلة) معناه : أنه خاف أنه منافق ، حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر ، والإقبال على الآخرة ، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا ، وأصل النفاق إظهار ما يكتم خلافه من الشر ، فخاف أن يكون ذلك نفاقا ، فأعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه ليس بنفاق ، وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك ،) (٢).

قوله تعالى :{هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ} قد يوهم حصر العداوة فيهم ولكن هذا ليس المراد . لأن العداوة موجودة في المشركين والكافرين وانما المراد أنهم لشدة عداوتهم وصعوبة التحرز منهم ، بخلاف الكافر الذي يظهر كفره ،كأن العداوة حصرت فيهم ولهذا نظائر في الأحاديث النبوية.

جاء تحذير الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بأخذ الحذر منهم وعدم الاغترار بماتظهره ألسنتهم من الايمان بالله ورسوله وحلو منطقهم ومعسول كلامهم فان قلوبهم تخفي شيئا على النقيض تماما فهم يحاولون ايقاع الضرر بالمسلمين مااستطاعوا الى ذلك سبيلا كنقل أخباركم الى العدو . قال الطبري – رحمه الله – : (فاحذرهم، فإن ألسنتهم إذا لَقُوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم، فهم عين لأعدائكم عليكم) (٣).

.....

(١) الحديث برقم (٢٧٥٠) (٢) شرح النووي على مسلم (١٧ / ٢٢٤)

(٣) تفسير الطبري (١٠ / ٨١٧)

أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعدم طاعة المنافقين لأنهم هم الأعداء الحقيقيون {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } [الأحزاب : ١] وفي موضع آخر{وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [الأحزاب : ٤٨] قال الشوكاني – رحمه الله – : (أي لا تطعهم فيما يشيرون عليك به من المداهنة في الدين، وفي الآية تعريض لغيره من أمته لأنه صلى الله عليه وسلم معصوم عن طاعتهم في شيء مما يريدونه ويشيرون به عليه) (١)

بلغ شر المنافقين ذروته عندما حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو في طريق عودته من غزوة تبوك في العقبة . قال النووي – رحمه الله – : (وهذه العقبة ليست العقبة المشهورة بمنى التي كانت بها بيعة الأنصار –رضي الله عنهم– وانما هذه عقبة على طريق تبوك اجتمع المنافقون فيها للغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فعصمه الله منهم) (٢)

.....

(١) فتح القدير (٢ / ٣٥٧) **(2) شرح النووي على مسلم (١٥ / ٢٦٩)**

ولم يظهر النفاق في المجتمع الاسلامي الا بعد معركة بدر حيث قويت شوكة المسلمين وأصبحت لهم عزة ومنعة فكان المنافقون يخفون نفاقهم ولايستطيعون اظهاره خوفا من المسلمين{وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ } [التوبة : ١٠١] فقوله تعالى : {لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ} فيه اشارة الى أن المنافقين عدو خفي وهو الأخطر . وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلمهم لولا اخبار الله له .

وكان المجتمع المكي في بداية الدعوة قد أظهر المشركون شركهم لأن الدولة الاسلامية كانت في بداية طورها ولم تكن قد تأسست بعد.فكل آية تتحدث عن المنافقين فهي مدنية، لأن النفاق لم يعرف في مكة كما أن كل آية فيها ذكر لأهل الكتاب فهي مدنية لأن المسلمين اختلطوا بأهل الكتاب في المدينة كيهود بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع . ومن الأشياء التي ميزت المنافق عن غيره من أعداء المسلمين أنهم يخالطون المسلمين فيعرفون ماعندهم من قوة وضعف بعكس الكافر الذي لايستطيع مخالطة المسلمين لأنه عدو ظاهر .

وكان المنافقون يؤيدون الكافرين من يهود بني النضير وبني قريظة ضد المسلمين اثناء محاصرة النبي صلى الله عليه وسلم بني النضير فكانوا يشجعونهم ضد المسلمين ويطلبون منهم عدم الخروج ويعدونهم بالمقاتلة في صفوفهم ومؤازرتهم في الحرب فكانوا يستغلون أي فرصة للانقضاض على المسلمين واضعاف شوكتهم وتدميرهم بكل ما استطاعوا من قوة . قال تعالى فيهم :{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ } [الحشر :١١- ١٢] فجعلهم الله تعالى اخوانا لليهود في الكفر تجمعهم الرغبة في اضعاف المسلمين وتدميرهم ان استطاعوا .

قال القرطبي – رحمه الله – :(وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة علم الغيب ؛ لأنهم أخرجوا فلم يخرجوا ، وقوتلوا فلم ينصروهم ؛كما قال الله تعالى(وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُون) أي في قولهم وفعلهم) (١). وكان حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – صاحب سر الرسول صلى الله عليه وسلم فخصه عليه الصلاة والسلام بمعرفة جميع أسماء المنافقين الذين حاولوا قتله في طريق عودتة من تبوك وغيرهم من المنافقين . وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يسأل حذيفة هل هو من المنافقين ؟ فقال: لا. ولا أزكي بعدك أحدا ، يريد لن أخبر أحدا غيرك ان سالني حتى لاأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم . و كان عمر أيضا اذا قدمت بين يديه جنازة نظر الى حذيفة فان صلى عليها علم أنه ليس من المنافقين فيصلي عليها. واذا لم يصل عليها،علم أنه من المنافقين فلا يصلي عليها ويوكل أحدا غيره لقوله تعالى في المنافقين :{وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ } [التوبة : ٨٤] وكان علي – رضي الله عنه – يقول عن حذيفة : (انه علم أسماء المنافقين و عنده علم عن المعضلات).

قوله تعالى :{قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىَ يُؤْفَكُونَ} دعاء علي المنافقين بالهلاك كيف يصرفون عن الحق والهدى وقد تبين لهم .

.....

(١) تفسير القرطبي (18 / ٣٢)

من فوائد الآية :

١- وجوب الحذر من المنافقين وعدم الاغترار بأجسامهم أو ألسنتهم.

٢- ذم من خالف باطنه ظاهره.

٣- الحث على الاخلاص في العمل و أهمية عمل القلب لأن المنافقين ضلوا بسبب ضلال قلوبهم لا أجسامهم أو السنتهم.

٤- الله لاينظر الى صورنا ولا اشكالنا ولكن ينظر الى قلوبنا كما ورد بذلك الحديث.

٥- هلاك المنافقين لقوله تعالى: (قاتلهم الله) وهو دعاء بالهلاك.

٦- سلب النور من قلوب المنافقين فهم لم يروا الحق مع أنه كان واضحا لقوله تعالى (أنى يؤفكون).

٧- رحمة الله بالمؤمنين حيث حذرهم من عدو خفي يصعب التحرز منه.

٨- اثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لاسبيل لكشف مافي قلوب المنافقين الا بالوحي.

٩- التحذير من النفاق.

١٠ – الجزاء من جنس العمل فلما رفض المنافقون نور الايمان في قلوبهم عوقبوا بالحرمان من النور يوم القيامة قال تعالى :{يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا } [الحديد : ١٣] وهذا من جملة الهلاك الوارد في الآية ضدهم.

الآية العشرون

قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التغابن : ١٤]

صدرت الآية بالنداء بوصف الايمان وقد سبق أن الآية اذا صدرت بالنداء بوصف الايمان ففيها أربعة فوائد فلا حاجة للتكرار (١). قال ابن القيم – رحمه الله – : (ليس المراد من هذه العداوة مايفهمه كثير من الناس أنها عداوة البغضاء والمحادة ، بل هي عداوة المحبة الصادة للآباء عن الهجرة و الجهاد وتعلم العلم و الصدقة و غير ذلك من أمور الدين و أعمال البر . (٢) وقال أيضا : (وما أكثر مافات العبد من الكمال والفلاح بسبب الزوجة وولده)(٣).

والآية تشمل كل معصية يرتكبها الانسان بسبب الزوج أو الولد.و سبب العداوة قد يكون لاختلاف في الدين أو الأخلاق .و الأصل في العلاقة بين الأهل هي علاقة المودة و الألفة لا علاقة البغض و أخذ الحذر فمن خرج عن الأصل فهو المقصود في هذه الآية لأن كل فرد من الأهل يكون قريبا بفعله الحسن و بعيدا بفعله القبيح .

قوله تعالى :{مِنْ أَزْوَاجِكُمْ} من هنا للتبعيض يعني بعض أزواجكم و أولادكم و ليس كلهم. فقد كان أبناء صالحون نفعوا آبائهم و أعانوهم على الطاعة كما قص الله تعالى علينا قصة اسماعيل بمساعدته ابراهيم عليه السلام في بناء الكعبة {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة : ١٢٧] وقال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام :{وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات : ١١١] واسماعيل ، الذبيح ، ابن ابراهيم عليه السلام ، لما أخبره بشأن الرؤيا التي رأى فيها أنه أمر بذبحه كان معينا له على طاعة الله رغم صعوبة الأمر{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات :١٠٢]

و هذه العداوة ليست من الزوجة و الأولاد فقط، بل أحيانا من الزوج. لأن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب. فقد يكون أحيانا الزوج هو العدو لزوجته فيصدها عن فعل الطاعة أو الايمان. ومن أمثلة عداوة الزوج لزوجته ماقصه الله علينا في القرآن عن آسيا بنت مزاحم ، زوجة فرعون {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [التحريم : ١١] . فكانت امرأة فرعون من المؤمنين بموسى عليه السلام فلما علم فرعون بايمانها أمر بقتلها، لأنه كان يدعي الألوهية {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي } [القصص : ٣٨] . فناجت ربها بالدعاء الذي في الآية .ويستفاد من هذه الآية ان لحمة النسب أو المصاهرة، لا تنفع مع الكفر و أن كل نفس مرتهنة بعملها{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } [المدثر : ٣٨] أخرج البخاري في صحيحه عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (كمل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون و مريم بنت عمران ...) (٤)

.....

(١) انظر (ص ١٦) (٢) الضوء المنير على التفسير (٦ / ٧٤)

(٣) نفس المصدر السابق (٤) الحديث برقم (٣٤١١)

قال ابن حجر : (ومن فضائل آسية امرأة فرعون أنها اختارت القتل على الملك والعذاب على في الدنيا على النعيم الذي كانت فيه و كانت فراستها في موسى عليه السلام صادقة حين قالت : (قرة عين لي) (١) .أما مريم بنت عمران فقد أثنى الله عليها في كتابه العزيز، فقال تعالى :{وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٤٢.]. وفي موضع آخر من القرآن{وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التحريم:١٢].وعلى العكس من امرأة فرعون، قص الله تعالى علينا قصة امرأتين كانتا تحت نبيين من أنبياء الله عليهما السلام. وكانتا كافرتين و من أعداء زوجيهما النبيين { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} [التحريم : ١٠] و المقصود بالخيانة هنا خيانة الدين لا خيانة العرض والفراش .

قال ابن عباس – رضي الله عنه – : (مابغت امراة نبي قط). فكانت امرأة نوح تقول: انه مجنون و كانت تفشي سر من آمن به الى الكفرة فيبطشون بالذين آمنوا به، فكانت عدوة لزوجها النبي الصالح .وذكر الله هلاك امرأة نوح {حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ} [هود : ٤٠] . وكانت امرة لوط تدل أعدائه على ضيوفه با شعال النار في الليل أو الدخان في النهار كما ورد في بعض كتب التفسير ،فكانت تضمر له العداوة كما فعلت امرأة نوح عليه السلام .وذكر الله تعالى أنها من الهالكين . قال تعالى :{قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} [هود : ٨١] وذكر تعالى في موضع آخرحكاية عن هلاك امرأة لوط عليه السلام :{إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ} [الحجر : ٦٠].والعداوة هنا تشمل عداوة الدين والبدن ، فمن صد عن طاعة الله كانت عداوته للدين ومن أضر بدنا كانت عداوته للبدن . قال الآلوسي – رحمه الله – : (وقد شاهدنا من الأزواج من قتلت زوجها ، ومن أفسدت عقله بإطعام بعض المفسدات للعقل ، ومن كسرت قارورة عرضه ، ومن مزقت كيس ماله ومن ، ومن و كذا من الأولاد من فعل نحو ذلك) (٢) . ومن أسباب تحذير الله تعالى لنا أنه قد يرق قلب الأم أو الأب في الوقوع في المعاصي بسبب طلب الأبناء كما لو طلبوا شيئا حراما ففعلوه . وقد حذر الله تعالى في مواضع أخرى من القرآن أن الأولاد فتنة . قال تعالى :{وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [الانفال ك ٢٨] وفي آية أخرى {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [التغابن : ١٤] . وتأمل كيف ختمت الآيتان بالوعد بالأجر العظيم لمن لم تلهه أمواله أو أولاده عن ذكر الله لأن اتقاء فتنة المال والأولاد تحتاج مجاهدة للنفس ومخالفة للهوى وتقديم طاعة الله على شهوات النفس فكان الأجر العظيم جزاء من قدم طاعة الله على طاعة نفسه الأمارة بالسوء {إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [يوسف : ٥٣] .وبين تعالى في موضع آخر من القرآن أن الأولاد قد يشغلون آبائهم عن طاعة الله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون :٩] فنهاهم الله تعالى بعدم الوقوع فيما وقع فيه المنافقون الذين ألهتهم أموالهم و أولادهم عن ذكر الله لأن الله أمر المؤمنين في هذه الآية بعد أن ذكر جملة من صفات المنافقين في سورة المنافقون{هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ} [المنافقون :٧]

.....

(١) فتح الباري (٧ / ٣٣٩٤) (٢) روح المعاني (٢٧ / ١٩١)

ثم ختمت الآية بقوله: {وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } بعد أن حذرنا تعالى من عدو خفي وأمرنا بأخذ الحيطة والحذر منه حثنا على العفو و هو :ترك المعاقبة على الذنب بعد العزم عليه ثم الصفح وهو : الاعراض عن الذنب مع ترك اللوم، ثم الغفران و هو : ستر الذنب وعدم اشاعته , وهذا تمام العفو دون ترك شئ من أدرانه في القلب ومنه قوله تعالى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: ٢٢] قال البيضاوي – رحمه الله – : (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم " يشغلكم عن طاعة الله أو يخاصمكم في أمر الدين أو الدنيا . " فاحذروهم " ولا تأمنوا غوائلهم . "وإن تعفوا " عن ذنوبهم بترك المعاقبة " وتصفحوا " بالإعراض وترك التثريب عليها . " وتغفروا " بإخفائها وتمهيد معذرتهم فيها . " فإن الله غفور رحيم " يعاملكم بمثل ماعملتم ويتفضل عليكم .) (١)

ومن تأمل الآية تأملا جيدا، يجد أن الله تعالى رتب الدرجات الثلاث (العفو والصفح والمغفرة) ترتيبا دقيقا لايدركه الا من أعمل فكره بالتأمل، فذكر الله تعالى أولا العفو و لما كان العفو باسقاط العقوبة قد يبقي شيئا في النفس من اللوم أو العتاب، قال تعالى : (وليصفحوا) فأمر بالصفح و هو اسقاط مافي القلب من اللوم والعتاب و لما كان اسقاط العقوبة بالعفو ومافي القلب مع وجود احتمال رغبة في النفس في اشاعة هذا الذنب الحاصل قال تعالى: (وليفغروا) بستر هذا الذنب وعدم اشاعته فيكون تمام العفو باسقاط العقوبة ثم اسقاط مايبقى في القلب من اللوم ثم سترها فيكون كمال العفو فجاءت الآية مرتبة ترتيبا دقيقا لايعرفه الا المتأملون وهذا من بلاغة القرآن .

وجاء العفو والصفح مجتمعين في أكثر من آية في القرآن.قال تعالى : {فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ} [البقرة :١٠٩] وفي موضع آخر{فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة : ٩]

والحث على العفو والصفح تضافرت به الآيات منها قوله تعالى :{فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر : ٨٥] وقوله تعالى في آية أخرى {:وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [النور :٢٢] فبين تعالى في هذه الآية أن العفو والصفح من موجبات مغفرته تعالى للذنوب فمن عفى، عفى الله عنه فالجزاء من جنس العمل. و كما تدين تدان . وقال عز وجل في موضع آخر من القرآن :{وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [ال عمران ١٣٣ – ١٣٤] فأوضح تعالى أن من صفات المؤمنين و أهل الجنة كظم الغيظ والعفو عن الناس و أنه من الاحسان . وفي هذا حث على الاتصاف بهذه الاوصاف و أن الله تعالى يحب من اتصف بها . والله تعالى يعفو ويستر ويقبل التوبة عن عباده . قال تعالى :{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [الشورى : ٢٥] وفي اية اخرى {وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} [المائدة :١٥] وفي موضع اخر{أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} [النساء : ١٤٩] قال ابن سعدي– رحمه الله –: (أي: عمن ساءكم في أبدانكم

.....

(١) تفسير البيضاوي (٢ / ٥٠٠)

وأموالكم وأعراضكم، فتسمحوا عنه، فإن الجزاء من جنس العمل. فمن عفا لله عفا الله عنه، ومن أحسن أحسن الله إليه، فلهذا قال: { فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا } أي: يعفو عن زلات عباده وذنوبهم العظيمة فيسدل عليهم ستره، ثم يعاملهم بعفوه التام الصادر عن قدرته. وفي هذه الآية إرشاد إلى التفقه في معاني أسماء الله وصفاته، وأن الخلق والأمر صادر عنها، وهي مقتضية له، ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسنى، كما في هذه الآية. لما ذكر عمل الخير والعفو عن المسيء رتب على ذلك، بأن أحالنا على معرفة أسمائه وأن ذلك يغنينا عن ذكر ثوابها الخاص.) (١)

والعفو من صفات المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في قصة فتح مكة لما نصره الله تعالى ودخل مكة وتمكن من أعداء الدين الذين أخرجوه من مكة وآذوه أشد الأذى قال لهم صلى الله عليه وسلم كلمته المشهورة : (ماتظنون أني فاعل بكم) ؟ قالوا : (أخ كريم وابن أخ كريم). قال صلى الله عليه وسلم : (اذهبوا فانتم الطلقاء)(٢).

وفي الصحيحين من حديث عائشة – رضي الله عنها – (أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم :هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي وإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا). (٣) قال ابن حجر – رحمه الله – : (وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على قومه ، ومزيد صبره وحلمه ، وهو موافق لقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وقوله وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٤)

وفي هذا الحديث بيان عفوه وصفحه عمن ظلمه وأذاه أشد الأذى لأنه صلى الله عليه وسلم يستطيع أن يأمر ملك الجبال بأن يطبق الأخشبين (وهما جبل أبي قبيس ومايقابله) على أهل مكة فيهلكوا . وفي هذا تربية منه صلى الله عليه وسلم بالعفو والصفح لأمته .وفيه اكرام الله تعالى له بأن وضع ملكا من الملائكة الكرام تحت امرته. وفيه اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم. وفيه تحقق مارجاه النبي صلى الله عليه وسلم .فقد أخرج من أصلاب المشركين وعتاتهم من عبد الله وحسن اسلامه كعكرمة بن أبي جهل وغيره.

في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– (قال : قدم الطفيل وأصحابه فقالوا: يا رسول الله، إن دوسًا عصت وأبت، فادعُ الله عليها. فقيل: هلكت دوس! قال: "اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ) (٥)
وهذا فيه من العفو والصفح والحلم والصبر على الدعوة وحسن الخلق والتفاؤل بالخير ماهو ظاهر.

.....

(١) تفسير ابن سعدي (ص٢٠٦) (٢) فتح الباري (٨ / ٤٨٩٨)
(٣) الحديث عند البخاري برقم (٣٢٣١) (٤) فتح الباري (٧ /٣٨٣٠)
(٥) الحديث برقم (٢٥٢٤)

في صحيح مسلم أيضا عن عبد الله قال: (كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب! اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)]. (١). قال النووي – رحمه الله – : (وفي هذا: بيان ما كانوا عليه صلوات الله وسلامه عليهم من الحلم والتصبر، والعفو والشفقة على قومهم، ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النبي المشار إليه من المتقدمين، وقد جرى لنبينا صلى الله عليه وسلم مثل هذا يوم أحد).(٢) .عن جابر بن عبد الله قال:(غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قبل نجد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها قال وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن رجلا أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتا في يده فقال لي من يمنعك مني ؟ قال: قلت الله .ثم قال في الثانية من يمنعك مني؟ قال :قلت الله قال: فشام السيف فها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم)(٣). قال النووي – رحمه الله –: (وفيه بيان توكل النبي صلى الله عليه وسلم على الله ، وعصمة الله تعالى له من الناس كما قال الله تعالى : {وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة : ٦٧ .] وفيه جواز الاستظلال بأشجار البوادي ، وتعليق السلاح وغيره و فيه جواز المن على الكافر الحربي وإطلاقه ، وفيه الحث على مراقبة الله تعالى ، والعفو والحلم ، ومقابلة السيئة بالحسنة .)(٤)وصور عفوه وحلمه صلى الله عليه وسلم كثيرة وماورد فيه الكفاية ان شاء الله تعالى .وجاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ومازاد الله بعفو عبدا الا عزا) (٥) . والعفو كان من أخلاق نبي الله يوسف عليه السلام فقد عفى وصفح ودعى بالمغفرة لأخوته رغم مافعلوه به . قال تعالى : {قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف :٩٢]

وفي الآية فوائد كثيرة منها :

١- بيان فضل الله ورحمته حيث حذرنا من عدو قد يخفى ،فان الزوج و الأولاد لما كانوا مظنة الرحمة والشفقة لشدة القرب التي يتولد عنها العاطفة القوية فانه قد يبعد أن يقع في القلب أن منهم أعداء .

١- أن الأزواج و الأولاد ليسوا كلهم أعداء لقوله تعالى : (منهم) لأن (من) تفيد البعض وليس الكل.

٢- يتفرع عن الفائدة رقم (٢) أن هذا التحذير من الله تعالى بوجود بعض الأزواج و الأولاد أعداء ان لا يفتح بابا للوسوسة و الشكوك في الأهل مالم توجد قرائن قوية.

٣- أن الخظر قد يأتي أحيانا من أقرب المقربين وقد قيل : (من مأمنه يؤتى الحذر). وقيل في الأمثال :(احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة).

٤- الاهتمام بأخذ الحذر من الأهل اذا وجدت قرائن قوية لتقديم خبر (ان) في قوله :{إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ} فان تقديم الخبر يفيد أحيانا جذب الانتباه وشدة التحذير كما أفاد بذلك ابن عاشور – رحمه الله – في تفسيره .وتؤخذ أيضا من تصدير الخطاب بوصف الايمان لجذب الانتباه و أن القيام بماسيأتي من مقتضيات الايمان .

.....

(١) الحديث برقم (١٧٩٢) (٢) شرح النووي على مسلم (١١ / ٤٨٢)

(٣) الحديث برقم (٨٤٣) (٤) شرح النووي على مسلم (١٥ / ٤٤٤) (٥) اخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨)

٥- علاقةالدين أقوى من علاقة الدم. لأن عداوة الزوج و الولد كثيرا ماتكون بسبب الاختلاف في الدين كما حصل مع زوجة فرعون و زوجتي ابراهيم و لوط عليهما السلام. ولذا نفى الله تعالى أن يكون ابن نوح منه لما كفر . قال تعالى : {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [هود : ٤٦].وقال عن المؤمنين :{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات : ١٠] فأثبت تعالى أخوة للمؤمنين و هي أخوة الدين ونفاها عن ابن نوح لما خرج عن الدين

وأبعد من ذلك أثبت تعالى أخوة للقاتل{فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ} [البقرة : ١٧٨] .أما من عصى الله تعالى فلن تنفعه قرابة عبد صالح ولو كان نبيا مرسلا ،فكل نفس بما كسبت رهينة { كلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} [المدثر : ٣٨] وبهذا ينقطع أمل من عصى الله تعالى ورجا نفع قريب صالح .

٦- أن البعيد أحيانا قد يكون أفضل من القريب كما قيل في المثل : (رب أخ لك لم تلده أمك).

٧- كمال التوجيه و التربية القرآنية فانه مع الأمر بأخذ الحيطة و الحذر و جه أيضا بالحث على العفو و الصفح و الغفران لما يترتب عليهم (العفو والصفح والغفران) من تقوية الروابط الأسرية وحفظ الأسرة، فان العفو يوجب استمرار المحبة بين أفراد الأسرة و يقوي العلاقة بينهم ويحفظهم من التفرق و الضعف.

٨- بلاغة القرآن حيث رتب الدرجات الثلاث (العفو والصفح والمغفرة) ترتيبا دقيقا لا يدركه الا من تأمل .

١٠ - العفو و الصفح و المغفرة من موجبات مغفرة الله و رحمته لختم الآية بقوله :{وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. وهذا فيه من الحث ماهو ظاهر.

١١- الحث على العفو لما فيه من موجبات المحبة و دوام العلاقة و حفظ الاسرة .

١٢- الحث على تنقية القلب من الشوائب و ماقد يعلق في القلب بعد العفو للأمر بالصفح بعد المغفرة لأن الصفح –كما تقدم – أعلى من العفو و يقتضي اسقاط مافي القلب من اللوم .

١٣- الحث على الستر للأمر بالمغفرة. لأن المغفرة تقتضي الستر والوقاية، ومنه المغفر الذي يلبسه المحارب ليتقي به السهام كالذي كان يلبسه النبي صلى الله عليه وسلم عندما دخل عام الفتح كما ورد عند البخاري (١).وفي الحديث أن الله تعالى يقرر عبده يوم القيامة بذنوبه ثم يقول له :(سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم) (٢) يعني يسترها عليه فلا يفضحه وهذا من كمال رحمة الله تعالى فاسقاط العقوبة فيها رحمة للبدن وستر الذنب بعد اسقاط عقوبته فيه رحمة للروح فاجتمع نعيم الروح واالبدن . قال ابن القيم – رحمه الله – في نونيته المشهورة:

وهو الحي فليس يفضح عبد عن التجاهـر منه بالعصيان

و لكـن يلقـي عليه ستره فهو الستير صاحب الغفران

١٤- اظهار كمال رحمة الله لحثه تعالى على العفو التام المقتضي لاسقاط العقوبة وازالة مافي القلب من التثريب وستر الذنب.

١٥-اثبات اسمي الغفور والرحيم لله تعالى على مايليق به دون تشبيه أو تعطيل أو تحريف و ماتضمناه هذان الاسمان من صفتي المغفرة و الرحمة لأن الاسم اذا كان متعديا ثبتت له الصفة المشتقة من هذا الاسم وكذلك الأثر المترتب على هذا الاسم وهو أن الله يغفر لمن يشاء{فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء} [البقرة :٢٨٤] {وَيَرْحَمُ مَن يَشَاء} [العنكبوت : ٢١]

.....

(١) انظر البخاري رقم (٣٠٤٤) **(٢) الحديث عندالبخاري برقم (٢٤٤١)**

منظومة (الحذر في القرآن)

١- تحذيـــر ربنـــا عـــز وجـــل ... يعنـــي تحـرزا من الوقوع في الزلل
٢-كـــذا عـرفـــه ابـن فـارس ... في معجـم يسمـى بالمقايس
٣- وكـل تحـذيـر مـن الرحمن ... مقصـوده هـداية الانسان
٤- فمـن يطـع الهنـا الرحيمـا ... يسلك بـذا طريقـا مستقيمـا
٥- فـآخـذ بـرحمـة الرحيم ... مغـترف مـن فضلـه الكـريم
٦- والخـاسـر لايـرى تحـذيـــره ... فليـس عنـده بذا بصيرة
7- فخـاســر آخرتـه دنيـــاه ... بسبب مـا اقترفـت يـداه
٨ – وكـل مـاجـاء مـن التحذير ... ففيـه رحمـة من ربنـا البصـير
٩- لأنـه المطلـع العليـــم ... على قلـوب خلقـه حليـم
١٠ –كمـا حـذرنـا القـــرآن ... أن عـــدونـا الشيطـــان
١١ – وأحيـا ربنـا تعـالى فينـا ... أخـذ الحـذر مـن المنـافقينا
١٢- فأنـزل الآيـات تتـــرى ... على رسولـه خيـر الورى
١٣- محـذرا عبـاده ممـا احتـوت ... قلوبهـم عليـه و انطـــوت
١٤- عليـه من سمعـة أو ريـاء ... لأنهـا أصيبـت بـالـوبـــاء
١٥- فقـال "في قلوبهـم مـرض" ... وبغضـهـم يجـب كمـا فـرض
١٦- وممن حـذر العـزيـز الهادي ... عـداوة أزواجنـا مـع الأولاد
١٧- و لايفـضـي الحـذر للوسوسة ... لأن الله لم يكـن قـد أسـســه
١٨-فلا حـذر الا اذا كان سبـب ... ومع خلـو وصـل قـد وجـب
١٩-كما ورد في قصـة الطوفان ... فالله قالها في محكـم القـــرآن
١٩- فقدر عليه كونـا يهـــلك ... فالله قال مـا هـو مـــن أهلك
٢٠-وفي الحـروب زمـن الكفـاح ... تحذير الله و الـزمـوا السـلاح
٢١-فلا يميـلـو ميلـة اجتمـاع ... اذا نحـن غفلنـا عـن متـاع
٢٢-وممـن حـــذر الله تعـالى نفسـه ... فهو عليـم بالعبـاد جهره وهمسه
٢٣- و لاينفـع مـع القدر حذر ... كما جـرى علـى فرعون ماحذر
٢٤-فكان يحذر مـن صبـي يرضـع ... يعيش في بلاطـة و هـو يرتع
٢٥- "ألم نربـك فينـا وليـدا" ... فـرعـــون قـالهـا تهـديـــدا
٢٦- و عشـــت بيننـا سنينـا ... كما فعلت فعل الكافرينـا

٢٧- وكـان يفتخــر بأن الماء يجري مـن تحتـه وهـو ليـس يدري
٢٨– أن عـذابـه مقــدر بالماء حتى يكـون عبــرة الــوراء
٢٩ – فالماء جنــد مـن جنوده بــه أغــرق مــع جنـوده
30- وحذر الله من فتنــة اليهـود فقــد أرادوا فـتنـــة الصـدود
31– لما أرادوا حكما للهــوى موافقــا مـن النبي المصطفى
٣٢- فلم يجب لأنــه معـصـــوم فعاد السائـل قلبـه مكلـوم
33- واتخـذ الأسبـاب مـع توكل كما ورد اعقلهـا مـع توكـل
34– وفي الختام الصلاة مـع ســلام على محمــد خيــر الأنــام
35- وآله و صحبه الأطهـار عدد تعـاقب ليـل مـع نهـار
36- وكل من كان على طريقــه فكان يوم الدين مـن فريقـه

خاتمة

في الخاتمة نتوصل الى أن من رحمة الله تعالى أن نبهنا الى أعداء مختلفين في القرآن الكريم .وهؤلاء الأعداء مختلفون ،فمنهم من هو ظاهر العداوة كالشيطان . قال تعالى :{ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } [الزخرف : ٦٢] وفي موضع آخر{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} [يس : ٦٠] وفي آية أخرى {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [فاطر : ٦] والآيات التي تظهر أن الشيطان عدو للانسان متظاهرة ومعروفة .

ومن الأعداء من قد يكون خفيا ولايعتقد الانسان عداوته لأنه قريب منا و لأنه في الأصل ليس عدوا فنحتاج لمن ينبهنا الى عداوته كالأزواج و الأولاد . قال تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التغابن : ١٤] والعداوة المقصودة هنا ليست العداوة المعروفة. ولكن المقصود في هذه الآية الالهاء عن ذكر الله تعالى وان كانت العداوة المعروفة قد ترد، فالأزواج قد يكون منهم من هو عدو كفرعون مصر، فقد كان عدوا لزوجه آسيا. ومن الزوجات من هن أعداء لأزواجهن كزوجة نوح ولوط عليهما السلام . ولا يعني هذا أن الجميع أعداء فقد كان اسماعيل ابن ابراهيم ابنا صالحا والتاريخ حافل بالأبناء و الأزواج الصالحين .

وحذرنا الله عز وجل من أخطر الأعداء وهم المنافقون . والقرآن مليء بالآيات التي تحذرنا منهم، لأنهم عدو يصعب التحرز منه، فهم يظهرون خلاف مافي قلوبهم، ولا سبيل الى معرفة مافي قلب البشر الا بالوحي { يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمِ قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ} [التوبة ك ٦٤] .وأنزل الله تعالى سورة كاملة باسمهم بين فها صفاتهم من أجل أن نعرفهم من خلال صفاتهم فنحذرهم، وهذا من رحمة الله تعالى أن أخبر عباده الصالحين عن عدو خفي يصعب التحرز منه .

وحذرنا سبحانه وتعالى من نفسه وأنه اليه مرجعنا جميعا فيحاسبنا بالثواب برحمته أو بالعقاب بعدله{وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ} [ال عمران : ٢٨] وفي آية أخرى {أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [البقرة : ٢٣٥] وفي موضع آخر {وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران : ٣٠ .]ومن رحمته تعالى أن حذرنا عذابه وانتقامه حتى يحذره الحاذرون فيتجنوا عذابه الشديد{إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة : ٢] {وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ} [البقرة : ١٦٥] وهو تعالى عزيز ذو انتفام {وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ} [ال عمران : ٤]

وأمرنا تعالى بأخذ الحذر والحيطة من العدو في حال الحرب وابقاء السلاح قريبا لأن العدو يتمنى أن يغفل المجاهدون عن أسلحتهم فيميلوا عليهم جميعا ليقتلوهم {وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً } [النساء :١٠٢] وهذا يدل على شدة عداوة الكافرين للمجاهدين في سبيله وأنهم وان تفرقوا في أمور أخرى الا أنهم يجتمعون في عداوة المجاهدين. لقوله تعالى : {فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً}.

وبين تعالى خطورة مخالفة أمر الله و رسوله وأنها تفضي الى المصيبة أو الهلاك {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور : ٦٣]{وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ} [المائدة : ٩٢] و التاريخ الاسلامي حافل بأخبار من خالفوا أمر الله ورسوله فكان مآلهم الى الخسارة كما حدث في غزوة أحد عندما خالف بعض الرماة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلوا من الجبل وكان صلى الله عليه وسلم أمرهم بعدم النزول فحصلت الهزيمة .

هذا آخر مافتح الله به علي وبه نختم هذا الكتاب الذي أرجو الله تعالى أن يجعله مباركا لكل من قرأه ، ويدعو لكاتبه بالعفو و الصفح و المغفرة انه تعالى على كل شئ قدير و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

تم الفراغ منه في غرة شوال من عام ١٤٣٣ على صاحبها أتم الصلاة وأكمل التسليم على يد كاتبه العبد الفقير الى الله تعالى فهد بن صالح بن شايع النفيسة .

للتواصل أو ابداء الراي : جوال ٠٥٤٣٤٦٩٥٥٩

بريد الكتروني saudii42@yahoo.com

المصادر المراجع

١- القرآن الكريم

٢- معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، طبعة دار احياء التراث العربي

٣- صحيح البخاري، طبعة مكتبة الرشد

٤- صحيح مسلم ، طبعة مكتبة الرشد

٥ – سنن ابن ماجه، طبعة دار بن حزم

٦- تفسير الطبري ، طبعة دار الحديث ، القاهرة

٧-تفسير ابن كثير ، طبعة دار عالم الكتب

٨- أضواء البيان ، للشنقيطي ، طبعة دار الحديث القاهرة

٩- تفسير سورة البقرة ، لابن عثيمين، طبعة دار ابن الجوزي

١٠ – تفسير سورة آل عمران ، لابن عثيمين، طبعة دار ابن الجوزي

١١- التحرير والتنوير ، لابن عاشور طبعة، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس

١٢- ويحذركم الله نفسه ، لعبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني ، طبعة دار القاسم

١٣- روح المعاني ، للآلوسي، طبعة مؤسسة الرسالة

١٤- التبصرة في الوعظ ، لابن الجوزي ، طبعة المكتبة العصرية ، صيدا بيروت

١٥- تفسير فتح القدير ، للشوكاني ، طبعة الدار المصرية للطباعة والنشر و التوزيع .

١٦- أسرار التكرار في القرآن ، للكرماني ، طبعة دار الاعتصام ، القاهرة

١٧- نيل المآرب ، للشيخ عبد الله البسام ، طبعة دار الميمان

١٨ – فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر ، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية.

١٩ – تفسير المنار ، لمحمد رشيد رضا ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

٢٠ – الضوء المنير على التفسير ، لعلي الحمد الصالحي ، طبعة مؤسسة النور

٢١ – البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبعة دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٢٢_ تفسير سورة المائدة ، لابن عثيمين ، طبعة دار ابن الجوزي

٢٣- تفسير ابن سعدي ، طبعة دار الحديث ، القاهرة

٢٤- تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي . طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان

٢٥- فتح القدير للشوكاني طبعة المكتبة العصرية بيروت لبنان

٢٦- رياض الصالحين ، للنووي ، طبعة دار الحديث ، القاهرة

٢٧- تفسير البيضاوي ، طبعة دار الكتب العلمية

28–أمثال القران ، للماوردي ، طبعة دار المودة
٢٩– الأمثال في القران ، لابن القيم ، طبعة دار المودة
٣٠ – الكشاف ، للزمخشري ، طبعة دار الكتاب العربي
٣١ – المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، طبعة دار الباز ، مكة المكرمة
32– مجلة البحوث الاسلامية ، مجلة علمية دورية محكمة تصدرها الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء ، العدد رقم (٩٨)
٣٣ – المدهش ، لابن الجوزي ، طبعة دار الحديث ، القاهرة

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ٢

الآية الأولى : أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ} [البقرة : ١٩] ٧

الآية الثانية :قال تعالى : {وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [البقرة..... ١١

الآية الثالثة :{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْوَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْإِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَشْكُرُون } [البقرة :٢٤٣] ١٤

الآية الرابعة : قوله تعالى : {وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِير } [ال عمران : ٢٨]..... ١٦

الآية الخامسة : قال تعالى : {وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ) [ال عمران : ٣٠]..... ١٩

الآية السادسة : قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا} [النساء : ٧١].٢١

الآية السابعة : قال تعالى : {وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْوَأَسْلِحَتَهُمْ } [النساء : ١٠٢] ٢٣

الآية الثامنة : قال تعالى : {وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ} [النساء : ١٠٢] ٢٤

الآية التاسعة : {يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا } [المائدة : ٤١] ٢٥

الآية العاشرة : قال تعالى:{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} [المائدة :٤٩] ٢٧

الآية الحادية عشرة : قال تعالى :{وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ } [المائدة : ٩٢].....٣٢

الآية الثانية عشرة: قوله تعالى :{يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ } [التوبة :٦٤].....٣٧

الآية الثالة عشرة:{ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة :١٢٢]..... ٤٠

الآية الرابعة عشرة: قال تعالى : {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورا} [الاسراء : ٥٧] ٤٢

الآية الخامسة عشرة: قال تعالى :{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور :٦٣] ٤٥
الآية السادسة عشرة: قال تعالى : {وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ } [الشعراء : ٥٦] ٤٩
الآية السابعة عشرة : قال تعالى :{وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ } [القصص: ٦] ٥١
الآية الثامنة عشرة : قال تعالى :{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ } [الزمر :٩] ٥٣
الآية التاسعة عشرة : قال تعالى :{هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون : ٤].....٥٨
الآية العشرون : قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التغابن : ١٤] 64
منظومة الحذر في القرآن للمؤلف ٧١
خاتمة ٧٣
المصادر و المراجع ٧٥
الفهرس ٧٧